روايات مصرية للجيب

زهور
84

# ابتسامة القدر





طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧

## هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف.. فتشيع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

# ١ ـ امرأة مريضة ..

كان الطقس مزعجًا وغريبًا فى هذا اليوم .. خاصة وأن الربيع على الأبواب ولم يكن من المعتاد أن يكون المناخ سيئًا فى هذا الوقت من العام .

لكن يبدو أن الشتاء أبى أن يرحل دون أن يعلن عن وجوده بقوة وقسوة ، فقد انهمرت الأمطار غزيرة بالخارج .. وأخذت الرياح العاصفة تحمل قطرات الماء المنهمرة .. لتقذف بها بقوة فى اتجاهات شتى ، لتزيد من الإحساس بقوة هذا السيل الجارف من الأمطار .

وقفت ( هالة ) تتأمل هذا الطقس العاصف الممطر من وراء نافذة حجرتها ، وقد اعتراها إحساس بالضيق والرهبة فى آن واحد .

فهى لا تحب هذا المناخ المقبض الذى يجبر المرء على أن يظل حبيسًا بين جدران منزله .

فضلا عن أنها اضطرت إلى الامتناع عن الذهاب إلى كليتها ، وحضور إحدى المحاضرات المهمة التى تحرص على متابعتها بسبب هذا الطقس السيئ ..

وارتسمت ملامح التجهم على وجهها الرقيق والدقيق الملامح .. فظهرت تقطيبة صغيرة على جبينها .. وأطلّت نظرة متبرمة من عينيها الزرقاوين لتعبر عن حالتها النفسية فى هذه اللحظة .

لكن هذا لم يفسد شيئًا من جمال وجهها .. الذى كان يحتفظ دائمًا بصفائه وجاذبيته فى جميع الحالات ، وفى شتى الانفعالات التى يمكن أن تطرأ عليها .

وبينما هى ترقب حالة الطقس السيئة من نافذة حجرتها .. إذا بها ترى سيارة زرقاء تقترب من الفيلا التى تقطنها .. وهى تندفع وسط هذا الجو العاصف وكأنها تتحداه برغم قسوته لتتوقف أمام الباب الخارجى .

دققت ( هالة ) النظر فى السيارة ، وقد بدا لها للوهلة الأولى أنها تعرفها وتعرف صاحبها .



ولم يعد لديها مجال للشك عندما رأت ذلك الرجل ذا الشعر الأبيض ، والشارب الرمادى وهو يغادر السيارة غير عابئ بذلك المطر المنهمر بشدة ، والذى كان يبلل ثيابه ومعطفه .

إنه الحاج ( عبد الراضى ) .. جارهم الذى يقطن فى الفيلا المجاورة ..

لا بد أن لديه سببًا قويًا لكى يخرج فى جو سيئ كهذا .. ويأتى إلى منزلهم فى مثل هذه الساعة المتأخرة .

وأسرعت بمغادرة حجرتها وهى تقفز درجات السلم المؤدى إلى الطابق السفلى لتستقبله بنفسها ، بينما وضع الرجل يده على جرس الباب بطريقة مزعجة ، تدل على إلحاحه ، ثم ما لبث أن تحول إلى الطرق على الباب بطريقة أكثر إزعاجًا .

وحينما وصلت ( هالة ) إلى الطابق السفلى وجدت الخادمة قد سبقتها إلى فتح الباب ، حيث رأت الرجل

وهو يندفع من خلفه وقد بدا فى حالة من الاضطراب الشديد ، وهو يسأل عن صاحب المنزل قائلاً :

- ( مصطفى ) بك موجود ؟

قالت له الخادمة وهى تحاول إخفاء تبرمها من الطريقة التى حضر بها الرجل :

- كلا يا سيدى .. إنه مسافر ، وأظن أنه سيحضر غدًا .

أسرعت ( هالة ) لاستقباله ، فى حين انصرفت الخادمة وهى ترحب به قائلة :

- أهلاً يا عمى .. تفضل .

لكنه نظر إليها بلهفة قائلاً :

- الحمد لله على أننى وجدتك يا بنيتى .. فأنا بحاجة ماسة لمساعدتك .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- هل حدث شىء ؟

قال لها وهو يحاول السيطرة على انفعالاته :



- إن زوجتى مريضة للغاية .. وتبدو فى حالة سيئة جدًا .

وقد حاولت الاتصال بالطبيب الذى يعالجها هاتفيًا .. لكن يبدو أن الخطوط معطلة فى المنطقة .

- نعم .. هذا صحيح .. إن الهاتف لدينا معطل أيضًا .. ويبدو أن لهذا الطقس السيئ دخلاً فى ذلك .

- إننى مضطر للذهاب الآن وإحضار الطبيب بنفسى .. وهو غير بعيد عن هنا ، لكننى أخشى أن أترك زوجتى بمفردها ، وهى فى هذه الحالة السيئة ، فلا أدرى ما الذى يمكن أن يحدث لها فى أثناء غيابى !

لذا أردت أن استأذن والدك فى أن تأتى إلى منزلى لتبقى معها ، حتى أحضر الطبيب .. لو أن ظروفك تسمح بذلك .

قالت ( هالة ) سريعًا :

- مهما كانت الظروف .. فإنها لن تحول بينى وبين الذهاب إلى طنط (نوال) وهى مريضة على هذا النحو .

قال لها شاكرًا :

ـ بارك الله فيك يا بنيتى .. لكن والدك غير موجود .. وكنت أفضل أن أستأذن منه قبل مغادرتك للمنزل فى هذا الوقت المتأخر .

ـ لو كان والدى موجودًا لذهب معى .. وعندما يعود من السفر سأخبره بالأمر ، وأنا واثقة أنه سيؤيدنى فيما أفعله .. فهو صديق لك .. فضلاً عن الجيرة القديمة التى تجمع بيننا .. كما أنه يعرف كم أحب طنط ( نوال ) وأعدها بمثابة أم لى .

قال لها متلهفًا :

ـ حسن .. هل يمكنك أن تبدلى ثيابك سريعًا ريثما أنتظرك فى سيارتى ؟

ـ لا تُضع الوقت يا عمى .. اذهب أنت لإحضار الطبيب .. وسأبدل ثوبى سريعًا وأضع إيشاربًا على رأسى .. ثم أذهب إلى المنزل .

يمكنك أن تعطينى المفتاح فقط حتى أتمكن من الدخول .. وأنا سأتكفل بالباقى .



قال لها مترددًا :

ـ لكن الطقس بالخارج سيئ للغاية .

ـ إن المنزل مجاور لنا .. فهو فى نهاية الشارع .. وسأحضر معى مظلة لتقينى من المطر .. أرجوك أسرع أنت بالذهاب إلى الطبيب ولا تحمل همًّا ..

سلمها مفتاح الفيلا وهو يسرع بمغادرة المنزل قائلاً :

ـ أشكرك يا بنيتى .. إننى معتمد عليك فى رعاية زوجتى حتى أحضر .

واندفع داخل سيارته وهو يردد لنفسه :

ـ ساعدنى يا إلهى .. أرجو ألا تسوء حالتها قبل إحضار الطبيب .

بينما أسرعت ( هالة ) بارتداء ثوب مناسب للخروج ، وتدثرت فوقه بمعطف جلدى .. ثم وضعت إيشاربًا على رأسها وأخذت مظلتها تأهبًا لمغادرة المنزل .

لكن الخادمة استوقفتها قائلة :

- إلى أين يا سيدتى ؟

- إلى منزل الحاج (عبد الراضى) .. ألم تسمعى ما قاله ؟

- لكن .. فى هذا الطقس السيئ .

- أيًا كانت حالة الطقس .. لا يمكننى أن أتأخر عن الذهاب لرؤية طنط (نوال) ورعايتها ما دامت مريضة هكذا .

- ولكن قد تصابين بالبرد .

- لقد اتخذت احتياطاتى .. وهذا المعطف وتلك المظلة سيقيانى من المطر .

- وماذا لو اتصل أبوك للاطمئنان عليك ؟

- أخبريه بأننى ذهبت إلى منزل الحاج (عبد الراضى) .. وأطلعيه على الأمر .

ثم سارعت بفتح الباب ومغادرة المنزل .

دخلت (هالة) إلى حجرة السيدة المريضة ، والتى



كانت تبدو فى شبه غيبوبة ، وقد رقدت على فراشها وهى تلهث من شدة المرض .. فى حين بدا وجهها وكأنه لا أثر للحياة فيه من شدة اصفراره .

كان من الواضح أن حالتها سيئة بالفعل .. وأنها بحاجة إلى تدخل علاجى سريع .

ووجدت (هالة) نفسها وقد طفرت العبرات من عينيها على الرغم منها .. وهى تحيط رأس تلك السيدة ذات الوجه الوقور ، الذى يتفق مع سنوات عمرها التى تجاوزت الخمسين ، والملامح التى تنم عن الطبيعة والحنان بذراعيها .

لقد أحبت الحاجة (نوال) كثيرًا .. وكانت تعدها بمثابة أم لها .

خاصة وأنها فقدت أمها وهى فى مرحلة مبكرة من العمر .. وكانت هذه السيدة هى الوحيدة التى تمنحها قدرًا من الحنان فى تلك اللحظات التى جمعت بينهما ، تعوضها بعض الشىء عن حنان الأمومة الذى حرمت منه قبل أن تبلغ العاشرة من عمرها .

وقد كانت هذه المرأة مؤهلة لذلك .. فهى تحمل قلبًا عطوفًا مليئًا بالحب والحنان .

كما أنها تتميز بطيبة لم تجد لها مثيلاً فى أى امرأة أخرى عرفتها من بين جيرانها أو من بين أمهات صديقاتها .. أو حتى من عمتها .

لذا فقد أحست بخوف شديد وهى تراها على هذه الحالة .. ووجدت نفسها تبكى بشدة خوفًا من أن تفقد هذه السيدة التى تعدها بمثابة أم بديلة لها .

وما لبث أن تحول بكاؤها إلى دعاء حار بأن يحفظها الله وأن يكتب لها الشفاء .

★ ★ ★

نظرت ( هالة ) إلى ساعتها فى قلق .. وهى تترقب وصول الحاج ( عبد الراضى ) ومعه الطبيب من آن لآخر .

ومالبثت أن سمعت صوت السيدة المريضة وهى تردد قائلة :

- ( أحمد ) .. ( أحمد ) !

أسرعت ( هالة ) إليها .. وهى ترجو أن تكون قد تنبهت من غيبوبتها .



لكنها وجدتها ما زالت غير واعية بما يدور حولها .. وإن كان الاختلاف الوحيد الذى طرأ عليها هو ترديدها لهذا الاسم .

أمسكت ( هالة ) برسغها لتقيس نبضها ، الذى أحست أنه انخفض عما كان عليه من قبل .. ممازاد من قلقها .

وهمست وهى تقرب شفتيها من أذن السيدة :

- طنط ( نوال ) .. طنط ( نوال ) !

لكنها لم تتلق إجابة .. فقد عادت المرأة إلى صمتها المطبق ولهاثها الذى ازداد حدة .

فنظرت إليها ( هالة ) وقد اعتراها الفزع قائلة :

- يا إلهى .. إن حالتها تزداد سوءًا .. يا ربى .. أنقذ هذه السيدة الطيبة من أجلى .

ويبدو أن الله قد استجاب لدعوتها سريعًا .

فقد سمعت صوت سيارة تتوقف بالخارج .. أعقبها رنين الجرس الخارجى للفيلا .

فاندفعت ( هالة ) لتفتح الباب .. حيث دخل الحاج ( عبد الراضى ) والطبيب فى أعقابه .

بادرها قائلاً :

ـ كيف حالها ؟

ـ إن نبضها ضعيف للغاية .

اصطحب (عبد الراضى) الطبيب إلى حجرة زوجتـه .. قائلاً :

ـ تفضل يا دكتور .. أرجوك ابذل ما فى وسعك لإنقاذها .

انتهى الطبيب من فحصها .. ثم تحـول إلـى زوجها قائلاً :

ـ إن حالتها سيئة بالفعل وتستدعى نقلها فورًا إلـى أقرب مستشفى .

قال ( عبد الراضى ) منزعجًا :

ـ مستشفى ؟ ولكن ..

قاطعه الطبيب بحزم :

ـ أرجوك .. لاتضع وقتًا .. فلو لم نسرع بنقلها إلى المستشفى .. فربما تكون معرضة للإصابة بنبحة صدرية .

نظر إليه الرجل فى فزع قائلاً :



ـ ذبحة صدرية ؟

ـ نعـم .. إن قلبهـا فـى حالـة سيئة للغايـة .. وكل مـا أستطيع فعلـه الآن هو أن أحقنهـا بـدواء لتوسـيع الشرايين .. لكن لابد من نقلها إلى المستشفى .

قال له ( عبد الراضى ) وهو على وشك الانهيار :

ـ افعل ما تـراه يا دكتـور .. لكن أرجوك أنقذهـا من أجلى .

قال له الطبيب وهو يعد المحقن :

ـ فلندع اللّه جميعًا ليساعدها على الشفاء .. إننـى سأعطيها هذه الحقنة أولاً .. ثم نحملهـا إلـى سيارتك لنقلها إلى المستشفى .

كنت أفضل أن تتولى سيارة إسعاف مجهزة ذلـك .. لكن مـا دام الهـاتف معطـلاً .. فليـس أمامنـا سـوى استخدام سيارتك ..

* * *

## ٢ ـ أريد ولـــدى ..

أخذ الرجل يسير فى طرقــات المستشـفى ذهابًـا وإيابًا ، وهو يتطلــع من آن لآخر إلـى حجرة العنايـة المركزة ، التى ترقد فيها زوجته .

وأشفقت عليه ( هالـة ) مـن تلـك الحالـة التـى يبدو عليها .. فغادرت مقعدها واقتربت منه قائلة :

ـ عمى .. حاول أن تستريح قليلاً .. إن طنـط (نـوال) الآن بين أيدى الأطبـاء ، وهــم يقدمــون لهــا أفضــل مساعدة طبية ممكنة .. فكن مطمئنًا .

ـ لن أعرف الراحة ولا الاطمئنان .. قبل أن أطمئـن عليها .

ابتسمت ( هالة ) قائلـة وهى تحـاول أن تخـفف عن الرجل :

ـ لم أكن أعرف أنك تحبها كل هذا الحب .

قال لها ( عبد الراضى ) وقد بدا عليه التأثر :



ـ إن ما بيننا أكبر من الحب يا بنيتى .. لقد عاشرت هذه السيدة لأكثر من خمسة وعشرين عامًا كانت فيها نعم الزوجة .

تحملتنى فى أقســى الظروف التـى تعرضت لهـا .. وشاركتنى حياتى فى السرء والضراء .. وكـانت لـى سكنًا وعونًـا بمعنـى الكلمـة .. ولا يمكننـى أن أنسـى فضلها على أبدًا .. كما أننى لا أتصور حياتى بدونـها .

قررت ( هالة ) أن تنتهز الفرصة وتسأله :

ـ هل يعنـى هذا أنـك مستعد لعمـل أى شـىء من أجلها .. وإدخال السعادة على قلبها ؟

قال لها سريعًا :

ـ بالطبـع يـا بنيتـى .. وهل لديك شـك فـى ذلـك ؟ فليشفها اللّه أولاً ، وأنا مستعد لتلبية جميع طلباتها .

قالت له ( هالة ) سريعًا :

ـ حتى لوطلبت منك أن تعيد ( أحمد ) إلى المنزل ؟

تبدلت ملامحه فجأة وهو يسألها :

ـ ( أحمد ) من ؟

نظرت إليه ( هالة ) فى دهشة قائلة :

ـ ( أحمد ) .. ابنك !

لكنه قال لها فى جفاء :

ـ ليس لى ابن اسمه ( أحمد ) .. لم يعد لى أبناء .

ـ ولكن يا عمى ...

قاطعها فى حدة قائلاً :

ـ ما الذى جعلك تتذكرين هذا الاسم الآن ؟

قالت ( هالة ) بارتباك :

ـ لقد أخذت تردد الاسم وهى فى غيبوبتها .

قال لها متجهمًا :

ـ لابد أنها كانت تهذى .

ـ كلا يا عمى .. أظن أنها بحاجة لرؤية ابنها .. خاصة بعد أن اشتدت عليها نوبات المرض هكذا .

بل إنى واثقة أن أحد الأسباب الرئيسية لاشتداد المرض عليها هو حرمانها من رؤية ( أحمد ) كل هذه السنين الطويلة .



نظر إليها بضيق قائلاً :

ـ ( هالة ) .. هل ترين أن هذا هو الوقت المناسب للتحدث فى أمر كهذا ؟

ـ آسفه يا عمى .. إذا كنت قد سمحت لنفسى بالتدخل فى أمر كهذا .. ولكنى أعتبر نفسى بمثابة ابنة لكما .. لو كنت رأيتها اليوم وهى تردد الاسم .. لقد تألمت كثيرًا من أجلها .

ـ اسمعى يا بنيتى .. لقد تأخرتِ كثيرًا فى العودة إلى المنزل ، ما كان يجب عليك أن تأتى إلى المستشفى .. يكفى ما تكبدته من مشقة اليوم .. وذهابك إلى المنزل لرعاية زوجتى فى غيابى ..

هيا معى لأعيدك إلى منزلك .. ثم أعود إلى المستشفى بعد ذلك للاطمئنان على الحاجة .

قالت ( هالة ) بإصرار ، وقد أدركت أنه يحاول أن يمنعها من الاسترسال فى الحديث :

ـ إننى لا أستطيع أن أذهب قبل أن أطمئن على طنط ( نوال ) .

ـ ولكن ...

وفى تلك اللحظة غـادر أحد الأطباء غرفـة العنايـة المركـزة ، وبصحبتـه الطبيـب الـذى أحضـره الحـاج ( عبد الراضى ) .

فأسرع إليهما .. قائلاً فى لهفة :

ـ هه يا دكتور .. كيف حالها الآن ؟

قال له الطبيب الأول :

ـ الحمد للّه .. لقد استقرت الحالة .. واستطاعت أن تتجاوز الأزمة .

تنهد الحاج ( عبد الراضى ) بارتياح قائلاً :

ـ الحمد للّه !

وكذلك وضعت ( هالة ) يديها فوق عينيها لتخفى عبرات السـعادة التـى تدفقـت منهـا .. وهـى تـردد لنفسها :

ـ الحمد للّه .. الحمد للّه !

لكن الطبيب الثانى قال له محذّرًا :



ـ لكن يجب أن تعـرف أن حالتهـا لـم تستقر بشكل نهـائى .. وأنهـا مـن الممكـن أن تتعـرض لأزمـات أخرى .. لو لـم توضـع تحت ملاحظـة دقيقـة وتوليهـا عناية خاصة .

ثم أضاف قائلاً :

ـ إننى أقترح أن نبقيها هنا لفترة مـن الوقت حتـى تكون تحت ملاحظتنا .

قال الحاج ( عبد الراضى ) :

ـ إذا كـان من الممـكن نقلهـا إلى المنزل وإحضـار ممرضة .. فإننى مستعد ...

قاطعه الطبيب الأول قائلاً :

ـ اسمع يا حـاج ( عبد الراضى ) .. إن أهم شـىء بالنسبة لنا ليس هو الرعايـة الصحية .. بل الرعايـة النفسية .

إن الحاجة معرضة لأزمات أخرى إذا ما حدث لهـا أى انفعال شديد .. أو واجهت ضغوطًا نفسية .

لذا فإن واجبك الأول تجاهها - إذا كنت تريد إعادتها إلى المنزل - هو إبعادها عن أية انفعالات نفسية أوعصبية .

- لكنى حريص على ذلك بالفعل .. فالعلاقة بينى وبين زوجتى على أفضل ما يكون .. وأنا أبذل كل جهدى للعمل على راحتها وإسعادها .

قال له الطبيب الثانى :

- ربما أن هناك شيئًا يحزنها أو يضايقها ولا تريد أن تخبرك به ، أو تخفيه فى نفسها عنك حتى لاتضايقك .

إن ذلك قد يشكل ضغطًا مضاعفًا على أعصابها وقلبها المريض .

قال الرجل وهو فى حيرة :

- شىء تخفيه عنى ؟ إننا لم نعتد أن نخفى شيئًا عن بعضنا أبدًا .

تدخلت ( هالة ) فى الحديث قائلة :



- إننى أعرف الشىء الذى يكمن وراء مرضها .. وعمى أيضًا يعرفه .

هم الرجل بالانفعال على الفتاة .. لكنه تدارك ذلك ولاذ بالصمت فقد أدرك أن ما تقوله حقيقى .

بينما سأله الطبيب الأول قائلاً :

- إذا كنت تعرف حقًّا سبب الانفعال النفسى الذى أدى إلى مضاعفة أزمتها المرضية على هذا النحو ؛ فعليك أن تجنبها إياه .

إننى أقول لك ذلك بدافع عملى كطبيب وكصديق قديم .

الحمد لله .. هذه المرة نجت من موت حقيقى كان يتهددها ، فى المرة القادمة .. لانعرف ما الذى يمكن أن يحدث .

تحولت ( هالة ) إليه بعد انصراف الطبيبين قائلة :

- هل سمعت ما قاله الدكتور يا عمى ؟ أرجوك حاول أن تدخل البهجة والسرور على نفسها بعودة ابنها إلى المنزل .

قال لها وقد اعترته حالة من الوجوم :

ـ إن ما فعله لا يغتفر .

قالت وفى صوتها نبرة رجاء :

ـ ليس مهمًا الآن ما فعله .. إنها أم .. وهو ابنها الوحيد الآن .. ومن حقها أن تراه وتسعد بوجوده معها .

التفت إليها قائلاً :

ـ هيًا معى .. لأعيدك إلى المنزل .

ابتسمت ( هالة ) قائلة :

ـ ستوافق على عودته إلى المنزل .. فأنت تحب طنط .. وأعرف أنك لن ترضى أن تتسبب فى تعرضها لأى خطر آخر على صحتها .

أطلق زفرة قصيرة قائلاً :

ـ هيا يا ( هالة ) .

سألته وهى تتبعه لركوب السيارة قائلة :

ـ هل ستنقلها إلى المنزل غدًا ؟



ـ حسبما يرى الطبيب .

ـ على أية حال .. سآتى لزيارتها سواء كانت فى المنزل أو بقيت فى المستشفى .. ويمكننى أن أحضر لها أية أشياء تحتاج إليها من المنزل .

ـ لاداعى لذلك .. غدًا ستكون مدبَرة المنزل قد عادت من إجازتها ، ولو اضطر الأمر إلى بقائها فى المستشفى فسأطلب منها إحضار ما تحتاج إليه الحاجة .

ابتسمت فى دلال وهى تنظر إليه قائلة :

ـ هل أنت غاضب منى يا عمى ؟

ـ اسمعى يا ( هالة ) .. أنت مثل ابنتى .. ووالدك صديق لى .. لكنى لم أكن أحب أن تتدخلى فى موضوع حساس مثل موضوع ( أحمد ) .

ـ لولا طنط ( نوال ) ما كنت قد تدخلت فى هذا الموضوع .

ـ حسن .. أرجو أن ينتهى الأمر عند هذا الحد .

ـ بعد كل ما قاله لك الأطباء ؟!

قال لها بصرامة :

- أنا أعرف ما يجب على أن أفعله تجاه زوجتى .

لاذت ( هالة ) بالصمت ، فقد أدركت أنه لا جدوى من الجدال مع هذا الرجل العنيد .

★ ★ ★

عادت الزوجة إلى المنزل بعد أن اجتازت فترة النقاهة بالمستشفى ، وابتسم الزوج وهو يجلس بجوارها على الفراش قائلاً :

- حمدًا للّه على سلامتك يا حاجة .. لقد نورت منزلك .

قالت له وهى تنظر إليه بامتنان :

- لقد أرهقتك معى طوال الفترة الماضية .. وعطلتك عن أعمالك .

قال لها محتجًا :

- ماذا تقولين ؟ إننى مهما فعلت لن أوفيك ما تستحقينه .

- تسلم لى يا حاج .



لكنها أردفت وقد تبدل صوتها ليحمل نبرة عتاب قائلة :

- ومع ذلك .. فأنا مازلت غاضبة منك .

أطرق برأسه قائلاً :

- أعرف ذلك .. وأعرف أيضًا أننى مسئول عما حدث لك .. وهذا ما ضاعف من إحساسى بالذنب نحوك .

تناولت يده بين يديها وهى تبتسم له فى طيبة قائلة :

- إننى فقط أحاول أن أمزح معك .

لكنه نظر إليها وفى وجهه إحساس حقيقى بالذنب قائلاً :

- يا حاجة .. إننى مستعد لأن أفعل أى شىء لترضيتك .

اعترى وجهها مسحة من الحزن وهى تنظر إليه قائلة :

- ( أحمد ) .. يكفى غيابه عن المنزل كل هذه السنين .. إذا أردت أن تريح قلبى حقًا .. اصفح عن ابننا ودعه يعد إلى المنزل .

## ٣ ـ ذهاب بلا عودة ..

نظر إليها فى لوم قائلاً :

ـ مرة أخرى يا ( نوال ) .. هل سنعود إلى هذا الحديث مرة أخرى ؟

قالت له فى توسل :

ـ هذا برغمى يا ( عبد الراضى ) .. أنا أم .. وإبعاد ابننا عنا كل هذه السنين شىء فوق طاقة احتمالى .

قال وهو يشيح بوجهه عنها :

ـ كنت أظن أنك ستنزعين عاطفتك هذه نحوه بعدما ارتكبه من جرم .

أمسكت بذراعه قائلة :

ـ لماذا لا تريد أن تصدق أنه لم يكن له يد فيما حدث ، وأن وفاة ( أكرم ) كانت قضاء الله ؟

نهض من جوارها ليرتكز بمرفقه على البوفيه الموجود داخل الحجرة ، وهو مازال مشيحًا بوجهه عنها ليقول :



ـ إذا أردت أن تصدقى ذلك فأنت حرة .. أما أنا فلا يمكن أن أصدقه أو أغفره .

قالت له زوجته مستعطفة :

ـ أتظن أننى لست حزينة مثلك على وفاة ( أكرم ) ؟ لقد كان ابنى كما هو ابنك .. والاثنان هما كل نصيبنا من الدنيا .

وإذا كنا قد فقدنا أحدهما .. فلماذا تصر على أن نفقد الآخر ؟

لم كل هذه القسوة يا ( عبد الراضى ) ؟

تحول إليها بانفعال قائلاً :

ـ لأن هذا الذى تتحدثين عنه هو الذى تسبب فى موت ابننا الآخر ! لقد قتله ! هل تفهمين ؟ لقد قتله !

نظرت إليه باستنكار قائلة :

ـ أعوذ بالله .. متى تتخلص من هذا الشيطان الذى يسيطر عليك ويدفعك لتصديق ذلك ؟ أخ يقتل أخاه !! كيف سمحت لهذه الفكرة أن تستولى على عقلك ..

وتدفعك إلى طرد ابنك من منزلك وإبعاده عنا كل هذه السنين ؟

اقترب منها وقد ازداد انفعاله قائلاً :

ـ لأن هذه هى الحقيقة .. ولماذا لا أصدق ؟ لقد ارتكبت هذه الجريمة منذ بداية البشرية .. قتل (قابيل) أخاه ( هابيل ) بسبب الغيرة .

وأردف قائلاً بأسى :

ـ تمامًا كما قتل ( أحمد ) أخاه ( أكرم ) .

قالت وقد اكتسى وجهها بالحزن :

ـ لماذا تجدد الأحزان يا ( عبد الراضى ) ؟

ـ أنت التى دفعتنى لذلك .. إننى أحاول أن أنسى .. ولكن من الصعب على أن أفعل .

قالت له باستعطاف :

ـ ربما يكون ( أحمد ) قد أخطأ .. لكنه لم يتعمد أن يقتل أخاه قط .. فقد كان يحبه ، لقد حققوا معه فى هذا الأمر وثبتت براءته .

قال لها بمرارة :



ـ بالنسبة لى فهو مُدان .. وحتى لو كان ما تقولينه صحيحًا .. وأن وفاة أخيه كانت بسبب خطأ ارتكبه وليست بنية العمد .. فالأمر بالنسبة لى سيان .. إنه مسئول عن وفاة أخيه .. مسئول عن موت ابننا .

صمتت الأم وقد غلبها حزنها فطفرت العبرات من عينيها .. وهى تقول باستسلام :

ـ حسن يا ( عبد الراضى ) .. افعل ما تراه .

نظر إليها وقد اعتراه إحساس بالذنب نحوها والخوف عليها .. فاقترب منها قائلا :

ـ لماذا هذا البكاء الآن ؟ إنك ترينه وتلتقين به من آن لآخر لتطمئنى عليه وعلى أحواله ..

أتظنين أننى لا أعرف ذلك ؟ إننى أعرف كل شىء وأتظاهر بالجهل والغباء ، ومع ذلك لم أحاول أن أمنعك برغم أننى طلبت منك أن تقطعى صلتك بهذا الولد نهائيًا .

ومع ذلك .. فقد كنت واثقًا من أنك لن تلتزمى بما طلبته منك .. وأنك ستنتهزين أية فرصة لكى تلتقى به

سواء فى القاهرة عند أخيك .. أو بإحضاره للمنزل بدون علمى .. وأعرف أيضًا أنك تمنحينه نقودًا بالإضافة لتلك التى أدفعها لأخيك مقابل مصاريفه إقامته .. أعرف كل ذلك .. وأتظاهر بالجهل .. ولم أحاول أن أمنعك أو حتى أتحدث إليك فى هذا الشأن رأفة بك وبمرضك .. فماذا تريدين منى أكثر من ذلك ؟

نظرت إليه بعينين مغرورقتينِ بالعبرات قائلة :

ـ وهل من السهل على أن ألتقى بابنى الذى تبقى لى من حطام الدنيا خلسة ؟ وأن يأتى إلى منزلك فى أثناء غيابك كما يفعل اللصوص ؟

ألا تدرى كم يؤلمنى ذلك .. ويزيد من أحزانى ؟

نظر إليها لبرهة وقد ازداد خوفه عليها من الانفعال بعد أن تذكر ما قاله له الطبيب .. فقال لها وهو يضع يده على كتفها :

ـ لا داعى للبكاء .

ثم أطلق زفرة قصيرة قبل أن يستطرد قائلاً :

ـ حسن .. إذا كان يريد أن يعود إلى المنزل ، فأخبريه أننى موافق على عودته .



نظرت إليه غير مصدقه وهى تقول :

ـ حقًا يا ( عبد الراضى ) ؟!

قال لها وقد ارتسم على وجهه قناع الجمود :

ـ لقد وافقت على ذلك من أجلك فقط ..

قالت له وقد علت ملامح الفرحة وجهها :

ـ وستعامله معاملة طيبة .. أليس كذلك ؟

قال لها فى قسوة :

ـ من الأفضل ألا يكون لى أى شأن به .

قالت وقد اعتلت وجهها مسحة الحزن مرة أخرى :

ـ إذن من الأفضل ألا يعود .. فهو لن يبقى إذا ما وجدك تعامله معاملة سيئة .

قال لها بضيق :

ـ لقد قلت لك إننى لا أريد أن يكون لى أى شأن به .. ولم أتحدث عن معاملة طيبة أو سيئة .

قالت بمرارة :

ـ إننى أعرف ابنى جيدًا .. أتظن أنه سيحتمل تجاهلك له وهو فى منزلك ؟

ربما وجد أنه من الأفضل له أن يحتمل هذا التجاهل وهو بعيد عنك ، على أن يجده منك وهو يحيا معك تحت سقف واحد .

قال لها بانفعال :

ـ لماذا تريدين أن تحمليني أكثر من طاقتى ؟ لقد وافقت على عودته إلى المنزل من أجلك .. من أجل أن تجديه بجوارك ويحيا معك فى هذا المنزل كما ترغبين .. فلماذا تريدين أن تحملينى أكثر من ذلك ؟

قالت له مستعطفة :

ـ إن كل ما أطلبه منك هو أن تحاول معاملته معاملة طيبة .

قال لها بامتعاض :

ـ حسن .. سأحاول .

ثم جلس بجوارها قائلاً :

ـ هل يرضيك هذا ؟



تناولت يده لتقبلها قائلة :

ـ لن أنسى لك فضلك هذا .

أبعد يده ليضعها على رأسها بإشفاق قائلاً :

ـ والآن .. هيا لتأخذى الدواء .. ثم استريحى قليلاً .

وقدم لها الدواء ثم قام بتغطيتها وهى تنظر إليه بامتنان قائلة :

ـ الآن فقط .. يمكننى أن أشعر بالراحة .

غادر حجرتها متجهًا إلى حجرته ، حيث توقف أمام صورة ابنه الراحل ، والتى كانت موضوعة فوق مكتبه وقد ارتسمت على وجهه ملامح الحزن .

ثم ما لبث أن اغرورقت عيناه بالعبرات وهو يتناول الصورة بين يديه .

عاودته الذكريات القديمة .

تذكر طفولة ( أكرم ) .. ومرحه وحنانه الذى كان يشمله به .

وتمثلت أمامه غيرة أخيه بسبب تفضيله له ، وحرصه الدائم على تلبية كل احتياجاته .

ثم تذكر أن ( أكرم ) كان يخاف الماء دومًا ، وأنه كان يرفض دائمًا محاولات أخيه لتعليمه السباحة التى برع فيها هذا الأخير ، وحصل من خلالها على جوائز عديدة .

لقد كاد ( أكرم ) أن يشرف على الغرق حينما سحبته الأمواج ذات يوم حينما كان يسبح فى ( الإسكندرية ) فى أثناء الإجازة التى كانت تقضيها الأسرة هناك .

وقد تركت هذه الحادثة أثرها فى حياته .. فأصبح يخشى أن يدفع بجسده إلى الماء حتى بالقرب من الشاطئ .

وقد حاول أن يساعده على التغلب على ذلك .. لكنه كان يرفض دائمًا .. فى حين أخذ أخوه يغريه بالمحاولة .. ويصطحبه معه إلى الحمام الذى يتدرب فيه على السباحة لكى يتغلب على عقدته .



لكن الأب منعه من الاستمرار فى الضغط على أخيه أكثر مما يجب ..

فالعقدة قد تمكنت من الفتى إلى حد كبير ..

إلى أن جاء ذلك اليوم المشئوم حينما سافروا إلى ( الإسكندرية ) لقضاء إجازة الصيف .

يومها رآه يلح على أخيه بأن يصحبه فى ذلك الزورق الذى استأجره ليخوض به إلى مسافة بعيدة داخل البحر .

ورفض ( أكرم ) بشدة أن يستجيب لمطلب أخيه الذى تحول إلحاحه إلى نوع من الشدة والقسوة غير المبررة ..

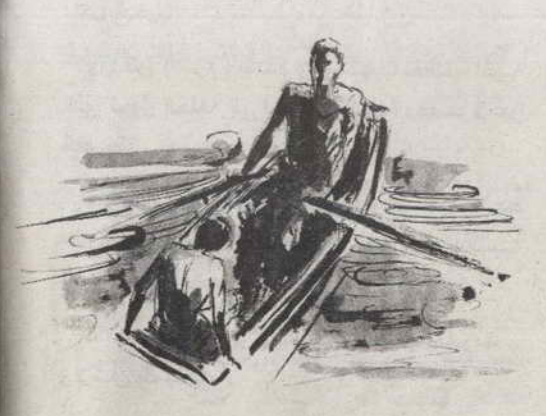
مما جعل الأب يتدخل ويأمره بالتوقف عن الضغط على أخيه فى هذا الشأن ، وقال له وقد أغضبه الأسلوب الذى يتعامل به معه :

- إذا أردت أن تلهو بهذا القارب فاذهب بمفردك .. ولا شأن لك بأخيك .

لكنه أصر على أن يصحبه معه .. ربما لأنه كان يضمر فى نفسه شيئًا لم يستطع أن يتبينه فى ذلك الوقت .

فغافله واصطحب معه ( أكرم ) فى ذلك القارب فى رحلة ذهاب بلا عودة .. لقد غرق ( أكرم ) .. أغرقه أخوه أو على الأقل تركه يغرق دون أن يمد له يد المساعدة .. منفذًا بذلك خطته الشريرة .

* * *





## ٤ـ حنان .. وجفاء ..

غادر ( أحمد ) السيارة التى أقلته إلى منزل والده فى أحد الأحياء الراقية من مدينة ( المنصورة ) .

حمل حقيبته بعد أن نقد السائق أجره .. ثم توقف للحظات أمام الباب الخارجى للفيلا ، وقد بدا عليه شىء من التردد .

ثم ما لبث أن دفع الباب وهو يتقدم إلى الداخل .

لكنه ما كاد أن يتقدم بضع خطوات إلى الداخل ، حتى هرول إليه المسئول عن حراسة الفيلا وهو يناديه قائلاً :

ـ من أنت ؟ وإلى أين تذهب ؟

استدار إليه ( أحمد ) قائلا :

ـ ألا تعرفنى يا عم ( متولى ) ؟

دقق الرجل النظر فى الشاب الواقف أمامه .. ثم ما لبث أن تهللت أساريره وهو يقول :

ـ من ؟ أستاذ ( أحمد ) .

ابتسم ( أحمد ) قائلا :

ـ كيف حالك يا عم ( متولى ) ؟

قال الرجل وهو لا يصدق عينيه :

ـ بخير .. بخير يا بنى .. تفضل .

لكنه ما لبث أن استوقفه وقد ارتسمت ملامح الخوف فى وجهه وهو يقول :

ـ لكن .. لكن والدك بالداخل .

قال له ( أحمد ) وقد امتزجت ابتسامته بتعبير حزين :

ـ نعم .. أعرف .. وهو يعرف أيضًا هذه المرة أننى سأحضر إلى هنا .

تهللت أسارير الرجل مرة أخرى لدى سماعه ذلك وهو يقول :

ـ حقًا ؟ إذن تفضل .. تفضل يا بنى لتنير منزلك .. يا ألف نهار أبيض .



طرق ( أحمد ) الباب ففتحت له الخادمة التى حاولت أن تعبر عن فرحتها .

لكنه استوقفها قائلا :

ـ أين أمى ؟

قالت له الخادمة :

ـ إنها فى حجرتها .. ستسرّ كثيرًا لرؤيتك يا أستاذ ( أحمد ) .

دخل ( أحمد ) إلى المنزل وقد أخذ يتأمله كما لو كان يراه لأول مرة .

لقد أبعد عن هذا المنزل بقرار من والده منذ تسع سنوات مضت .

ومن الغريب أنه برغم حبه لهذا المكان فى الماضى وتعلقه الشديد به ، إلا أنه كان بحاجة إلى الابتعاد عنه لبعض الوقت .. خاصة بعد وفاة أخيه .

لذا فقد وجد لقرار أبيه بإبعاده عن المنزل تجاوبًا فى نفسه .. وإن لم يكن يتمنى أن يكون إبعاده بمثل هذه الطريقة التى حدثت منذ تسع سنوات .. وبهذا الاتهام القاسى الذى ألصق به من جانب والده ، وتنهد

وهو يتأمل الصورة التى تجمع بين والده ووالدته والمعلقة على الجدار ، قائلاً لنفسه :

- كما أن تسع سنوات فترة طويلة بالنسبة لى لكى أعامل كمجرم نفى عن هذا المكان .

حقًا إنه كان ينتهز الفرصة من آن لآخر ليأتى إلى هذا المنزل خلسة فى غياب أبيه ..

لكن ذلك كان يحدث لساعات قليلة .. وكان الأمر يقتصر على مقابلة سريعة لأمه ، ثم يرحل على الفور قبل أن يتبين الأب حقيقة الأمر .

كان حضوره إلى هنا لبعض ساعات ، متسللاً إلى منزل أبيه كاللصوص ، أمرًا شاقًا على نفسه .. وكان يترك فى نفسه إحساسًا بالألم والمرارة أكثر من حنينه لرؤية أمه المريضة .. بعد أن شق عليها الذهاب إليه فى القاهرة لزيارته لدى خاله .

لذا فضل ألا يأتى لما تخلفه هذه الزيارة من مشاعر أليمة .. فامتنع عن الحضور منذ سبعة أشهر تقريبًا .. برغم توسل أمه إليه فى الهاتف أن يأتى لزيارتها .

إنه لا يريد أن يأتى إلى منزل أبيه متسللاً كاللصوص ..



ويرفض أن يعامل كمتهم .. خاصة وأنه برىء من التهمة المنسوبة إليه .

ولكنه لم يكن يستطيع ألا يأتى بعد أن علم بتدهور حالة أمه الصحية على النحو الذى وصلت إليه ، وبعد أن وافق والده على عودته أخيرًا .. وهو الأمر الذى ظل ينتظره لسنوات طويلة .

وتساءل وهو واقف فى منتصف الردهة على هذا النحو .. لِمَ لا يتحرك فى هذا المنزل الذى تربى فيه على حريته بالطريقة التى كان يمارسها من قبل ؟

ولِمَ لا يحمل حقيبته بحثًا عن حجرته التى كان يعيش فيها من قبل .. ثم يذهب إلى حجرة والدته للاطمئنان عليها ؟

لماذا أصبح لديه شعور مبهم بأنه أصبح غريبًا عن هذا المنزل ؟ وبأنه لا يستطيع أن يتصرف ويتحرك فيه على النحو الذى كان يفعله من قبل .

وتنهد فى حزن قائلا :

- ربما لأن هذه هى الحقيقة بالفعل .. إن تسع

سنوات فترة طويلة ، ولابد من فترة لكى يتمكن المرء من التآلف مع هذه الجدران مرة أخرى .

وبينما هو فى حيرته وذكرياته المريرة .. فتح باب إحدى الحجرات فجأة وظهر والده من خلفه .

حيث حدجه بنظرة كشفت عن أن بغضه له لم ينته بعد .

أحس ( أحمد ) برهبة شديدة حينما رأى أباه واقفاً أمامه فجأة .

إنها المرة الأولى التى يلتقيان فيها وجهًا لوجه منذ تسع سنوات مضت ، وإن كان قد رآه منذ عامين خلسة حينما حضر لرؤية والدته وعاد هو إلى المنزل فجأة .

لحظتها نبهته الخادمة بأن والده قد عاد إلى المنزل .. فأسرع ليختفى وراء باب إحدى الحجرات ، حيث رآه وهو يدخل إلى المنزل بقامته المديدة ومظهره الجاد .

لقد أحس لحظتها بمزيج من الانفعالات تعمل فى نفسه كتلك التى يحسها الآن .



فقد أحس بالخوف والرهبة من هذا الأب الذى كان صارمًا معه دائمًا ، ومنذ طفولته ، برغم أن معاملته لأخيه الصغير كانت تختلف عن ذلك كثيرًا .

وأحس بالاشتياق وبرغبة جارفة للاندفاع نحوه ، واحتضانه بعد أن اضطر لفراقه كل هذه السنين .

لكنه لم يستطع أن يفعل ذلك .. كما لا يستطيع أن يفعله الآن ، بل إن إحساسه بالخوف والرهبة تضاعف فى هذه اللحظة ..

حينما تقابلا وجهًا لوجه ورأى تلك النظرة فى عينيه .

أخذ كل منهما يتفرس فى وجه الآخر .. وإن بدت نظرات الأب أكثر حدة وجمودًا .. فى حين كانت نظرات الابن على استحياء .

وبدا أن كليهما يحاول أن يتبين ما أحدثته تلك السنون التى افترقا فيها من اختلاف فى وجه الآخر .

لقد بدا الابن أكثر نضجًا وأصبحت ملامحه أكثر شبهًا بأبيه .

بينما زحف الضعف على وجه الأب فبدا أكثر تقدمًا فى العمر مما هو عليه بالفعل .

ربما لأن فجيعته فى وفاة ابنه ـ الذى كان يحبه ـ قد عجلت بشيخوخته ، وتركت آثارها على وجهه بشكل واضح .

وتغلبت عاطفته تجاه أبيه على خوفه منه .. فأحزنه أن يرى هذا الشحوب وتلك التجاعيد التى زحفت إلى وجهه ، الذى كان يمتلئ صحة ونضارة وحيوية تضارع من هم فى عنفوان الشباب .

تقدم نحوه ليمد له يده مصافحًا .. لكن الأب تجاهل اليد الممدودة إليه قائلاً له بجفاء :

ـ يجب أن تعرف أنه لولا مرض والدتك .. ما كان يمكن أن أسمح لك بدخول هذا البيت مرة أخرى .

صمت الابن دون أن يقول شيئًا .. لقد توقع أن يلقى شيئًا من الجفاء لدى عودته .. لكنه ظن أن فراق السنين ربما خفف بعض الشىء من قسوة هذا الجفاء .. ويبدو أنه كان واهمًا فى هذا الظن أيضًا .



ظل جامدًا فى مكانه دون أن يدرى ما الذى يتعين عليه أن يقوله أو يفعله فى هذه اللحظة !

فقد أصيب بارتباك أعجزه عن التصرف أو التفكير وهو يلقى تلك المقابلة الجافة .. وهذه النظرة العدائية فى عينى أبيه .. برغم أنه توقع ذلك وحاول أن يعد نفسه له .

وأنقذه من ارتباكه وجموده سماعه لصوت أمه التى غادرت حجرتها لدى معرفتها بعودة ابنها للمنزل .. وأخذت تناديه من فوق درجات سلم الطابق العلوى مرددة :

ـ ( أحمد ) .. ابنى !

اندفع ( أحمد ) نحوها .. وقد أنسته رؤيته لأمه وسماعه لصوتها قسوة الأب وجفاء اللقاء .

وتلقاها بين ذراعيه فى حنان قائلاً :

ـ أمى .. ألف سلامة لك يا أمى .. حمدًا للّه على سلامتك .

تعلقت الأم بكتفه فى فرحة غامرة وهى تقول :

ـ حمدًا لله على سلامتك أنت يا بنى .. وعودتك إلى منزلك .

ثم استطردت قائلة فى عتاب :

ـ هل هانت عليك أمك لتغيب عنها كل هذه الفترة ؟

قبل وجنتيها ورأسها قائلاً :

ـ سامحينى يا أمى .. لم أكن أعرف شيئًا عن الأزمة المرضية التى مررت بها أخيرًا .

قالت له وهى تتكئ على ذراعه لتهبط درجات السلم :

ـ هل كان لابد أن يشتد بى المرض أو أموت حتى تأتى لترانى ؟

قال ( أحمد ) سريعًا :

ـ حفظك اللّه يا أمى .. لكنك تعرفين الظروف .

قالت وهى تنظر إليه بحنان وسعادة :

ـ الحمد للّه .. لقد تغيرت هذه الظروف منذ الآن ستبقى معنا وسيفتح أبوك معك صفحة جديدة .



نظر إلى أبيه الذى كان لا يزال واقفًا مكانه وهو يرمقه بتلك النظرة العدائية قائلاً لنفسه :

ـ لا أظن أن هذا يمكن أن يحدث بأى حال من الأحوال .

بينما أردفت الأم وهى تتوجه بالحديث إلى زوجها قائلة :

ـ أليس كذلك يا ( عبد الراضى ) ؟

لكنه أدار لهما ظهره متجهًا إلى باب المنزل وهو يقول :

ـ أنا خارج .. لدى عمل يتعين على إنجازه .

ثم أغلق الباب وراءه بعنف وهو يغادر الفيلا .

ـ ابتسمت الأم قائلة لابنها فى حنان وهى تحاول أن تخفف من جفاء هذا التصرف من جانب زوجها :

ـ اعذره يا بنى .. أنت تعرف أباك .. إنه بحاجة لبعض الوقت ، حتى تعود الأمور إلى مجراها الطبيعى .

تنهد الابن قائلاً :

ـ لا أظن أنه سيكون لديه أى استعداد ليصدق براءتى .. ويغفر لى ما حدث .

قالت الأم وهى تخشى أن يؤدى هذا الشعور إلى ابتعاد الابن مرة أخرى :

ـ صدقنى يا بنى .. لقد كان يفتقدك مثلى تمامًا .. لكنه يكابر .

قال فى سخرية مريرة :

ـ لا أظن أنه افتقدنى قط .

ـ أنت مخطئ فى ظنك هذا .. ومادام قد طلب منك أن تعود إلى المنزل فلابد أنه أحس بأنه أخطأ فى حقك .. وأصبح لديه استعداد لفتح صحفة جديدة معك .

قال وما زالت نبرة المرارة فى صوته :

ـ لقد وافق على عودتى إلى هذا المنزل بناء على طلبك وإلحاحك .. ولولا ذلك ما عدت إلى هنا .. هو بنفسه أوضح لى ذلك فى اللحظة الأولى التى التقينا فيها .. حتى تكون الأمور واضحة أمامى أتصرف وفقًا لذلك .



قالت الأم محاولة التخفيف عنه :

ـ يا بنى .. إن أباك ....

لكنه قاطعها يوفر عليها جهد ترضيته :

ـ لا تشغلى نفسك بذلك يا أمى .. على أية حال لقد عدت من أجلك .. وسأبقى فى هذا المنزل من أجلك .

قالت وفى صوتها نبرة توسل :

ـ حقًا يا بنى ؟

ساعدها على الجلوس بجواره على الأريكة التى تتوسط الردهة ، وهو يرسم ابتسامة كبيرة على وجهه لترضيتها :

ـ بالطبع يا ست الكل .. المهم طمئنينى على صحتك .

قالت الأم وهى تزداد التصاقًا بابنها كأنها تريد أن تعوض حرمان ابتعاده عنها كل هذه السنين :

ـ أنا بخير .. أشعر أننى قد استعدت صحتى كاملة بعد عودتك إلى هذا المنزل ورؤيتك أمامى .

وتطلعت إليه وهى تردف قائلة :

ـ أخبرنى .. ما هى أخبارك طوال الفترة الماضية ؟

أريد منك أن تخبرنى عن أحوالك وعن كل شىء بالتفصيل .

ولكن لا .. انتظر .. لابد أنك متعب بعد هذا السفر الطويل .. اصعد إلى حجرتك أولاً لتحصل على حمام دافئ .. ثم تبدل ثيابك .. حتى أنتهى من إعداد الغداء لك .. وبعدها نجلس لنتحدث معًا .

- لا تجهدنى نفسك من أجلى .. إذا أحسست بالجوع سأطلب من الخادمة أن تعد لى الطعام .

قالت الأم :

- قلت لك إننى قد استرددت صحتى حينما رأيتك .. لقد كنت متشوقة لهذه اللحظة التى تعود فيها إلى المنزل ، وأعد لك الطعام بنفسى كما كنت أفعل من قبل .. أما زلت تذكر ذلك يا ( أحمد ) ؟

ابتسم قائلاً لها :

- وكيف يمكننى أن أنسى يا أمى ؟ لقد كنت تحومين حولى أنا و ( أكرم ) حتى ننتهى من تناول طعامنا .. كالطير الذى يحوم حول صغاره حتى يتأكد من إشباعهم .

ضحكت الأم :



- لا أظن أننى سأستطيع أن أدور حولك كما كنت أفعل فى الماضى فالمرض لا يسمح لى بذلك الآن .

لكنى يمكننى أن أراقبك وأنت تجلس أمامى على المائدة ، لأراك وأنت تتذوق الطعام بشهيتك القديمة ، خاصة الحمام المحشو الذى كنت تفضله دائمًا .

نظر إليها بانزعاج قائلاً :

- لا تقولى إنك أرهقت نفسك بإعداد الطعام لأجلى .

همست قائلة وكأنها تحاول أن تأتمنه على سر لا تريد منه أن يبوح به لأحد :

- اخفض صوتك .. وإياك أن تخبر أباك بذلك .

- ولكن ظروفك الصحية لا تسمح لك بأن ....

قاطعته قائلة :

- ليس أحب لدى من أن أعد الطعام لابنى بنفسى .. صدقنى يا بنى ، إننى أشعر بأننى أسترد صحتى تدريجيًا منذ أن علمت بعودتك .

انحنى الابن على يد أمه ليقبلها فى حنان متبادل .

بينما أخفت هى عبرة ترقرقت فى عينيها قائلة له :

ـ هيا اصعد إلى غرفتك وبدل ثيابك .. ريثما أعد الطعام لك .

نظر ( أحمد ) إلى الطابق العلوى وقد أحس بحنين شديد لتلك الغرفة التى كانت تجاور غرفة أخيه .. والتى شهدت سنوات صباه الأولى بكل مرحها وشقاوتها قبل أن يبدد هذا الحادث الأليم كل شىء .

وتوقف للحظة أمام باب الحجرة قبل أن يفتحها وهو يحمل حقيبته ، لكنه تراجع عن ذلك واقترب من حجرة أخيه المتوفى ، وقد وضع يده على مقبضها وهم بفتحها .

لكن شيئًا ما جعله يتردد ويحجم عن ذلك .. فأسرع بالابتعاد ليدلف إلى حجرته التى وجدها على ما كانت عليه من قبل .. فأعادت إليه ذكريات حياته القديمة .

★ ★ ★



## ٥ ـ الأختان ..

نظر ( نعمان ) إلى ابنته معاتبًا وهو يقول :

ـ ( هالة ) .. ما الذى أخَّرك كل هذا الوقت ؟ لقد قلقت عليك .

ـ لقد اضطررت لتوصيل إحدى زميلاتى إلى المنزل بعد انتهاء المحاضرة الأخيرة فى الكلية .. فقد أصيبت ببعض التعب .. فنقلتها إلى سيارتى حيث قمت بتوصيلها إلى منزلها .

سألها الأب قائلاً :

ـ وكيف حالها الآن ؟

ـ بخير .. يبدو أن التعب الذى أصابها كان بسبب الإرهاق .

ابتسم الأب قائلاً :

ـ ألا تكفين عن تقديم الخدمات للآخرين ؟

ضحكت ( هالة ) وهى تجلس إلى جوار أبيها قائلة :

ـ ما استحق أن يعيش من عاش لنفسه يا أبى .. لقد علمتنا أنت ذلك .

نظر إليها الأب بإعجاب قائلاً :

ـ وأنا سعيد لأننى أراك تميلين إلى عمل الخير وخدمة الآخرين هكذا يا بنيتى .. بارك اللّه فيك وأعانك على مساعدة الآخرين .

سألته ( هالة ) بفضول قائلة :

ـ هل حقًّا ما سمعته يا أبى ؟

ـ ما الذى سمعته ؟

ـ هل عاد ابن الحاج ( عبد الراضى ) إلى منزل أبيه ؟

ـ نعم .. لقد سمعت ذلك .

تهللت أسارير وجهها وهى تقول :

ـ إذن .. فقد وافق أخيرًا على أن يعود ابنه إلى المنزل .

ـ أظن أنه قد وافق على ذلك مضطرًا .. فلولا مرض



زوجته وما قلته لى عن تحذيرات الأطباء له فى المستشفى .. ما كان قد قبل عودته .

ـ معك حق يا أبى .. إن عم ( عبد الراضى ) عنيد وقاس بأكثر مما يجب .

ـ لقد كان عنيدًا دائمًا .. فهكذا عرفته منذ سنوات طويلة .. لكنه ليس قاسيًا على النحو الذى تظنينه .

ـ إنك تقول ذلك لأنك صديقه .

ـ بل لأننى أعرفه جيدًا .. والدليل على ذلك معاملته لزوجته وارتباطه الوثيق بها .

ـ أشعر أحيانًا بأنه يعاملها بطريقة « سى السيد » .

ابتسم الأب قائلاً :

ـ أنتِ مخطئة يا بنيتى .. إنه يعاملها بحب وتقدير يندر وجوده فى هذا الزمان .. لكن تمسكه بآرائه إلى حد العناد وشخصيته القوية هى التى تظهره بذلك المظهر المجافى للحقيقة .

كما أنه كان يحب ابنه الراحل ويدلله دائمًا .. ولم أره يقسو عليه قط ..

ـ لكنه كان قاسيًا بالنسبة لابنه الكبير .

ـ لقد كانت فجيعته فى موت ابنه الصغير كبيرة .. وهو يعتبر ابنه الأكبر مسئولاً عن موته .

ـ لكنك لا تصدق ذلك يا أبى .. أليس كذلك ؟

قال لها الأب وعلى وجهه علامات الحيرة :

ـ والله يا بنيتى .. لا أدرى .. ما هى الحقيقة !! البعض يؤكد أنه هو المسئول عن موت أخيه الصغير .. والبعض الآخر ينفى ذلك .

ـ لكن الشرطة والنيابة برأتاه .. كما أن والدته لاتصدق أنه المسئول عن وفاة أخيه .

ـ لكن ملابسات الحادث .. وإصرار الابن على اصطحاب أخيه معه فى تلك الرحلة البحرية .. برغم رفض الأخ ومعارضة الأب .

وتفضيل الأب للأخ الصغير عن الكبير .. واستئثاره له بمعاملة خاصة ، ربما جعل صدر ابنه الكبير ينطوى على قدر من الغيرة فأضمر له فى نفسه أمرًا .

قالت له ابنته معارضة :



ـ كلا يا أبى .. لا أظن أنك تصدق ذلك .. فذلك الشاب ليس من النوع الذى يمكن أن ينجرف إلى مثل هذا التصرف الفظيع .

لا يمكن أن يصل به الأمر إلى حد قتل أخيه بسبب غيرته من معاملة أبيه الخاصة له .

نظر الأب إلى ابنته بدهشة قائلاً :

ـ وكيف يمكنك أن تحكمى على ذلك ؟

ـ هل نسيت أننا عرفنا ( أحمد ) شابًا وديعًا دمث الخلق ؟

لقد كنا نتردد عليهم دائمًا قبل وفاة أمى وبعد وفاتها .. كما كان يتردد علينا هو وأخوه .. وكنت دائمًا معجبًا به وتشيد بأخلاقه .

هل يمكن لشاب كهذا أن يقتل أخاه بدافع الحقد والغيرة ؟

ـ والله يا ابنتى إن معك حق .. ولكن الظروف التى أحاطت بهذه الحادثة تثير الشك .

ـ إننى لا أشك فى أنه ارتكب هذا الجرم لحظة واحدة .

ـ على أية حال أرجو أن تستقر الأمور بينه وبين أبيه ، وأن ينسى الجميع هذه المأساة التى اكتوت بنارها هذه الأسرة ، وأظن أن تسع سنوات تعد فترة كافية لتخمد هذه النيران ، وتنطوى الأحزان .

ابتسمت ( هالة ) وهى تشرد بأفكارها قائلة :

ـ ياه ! تسع سنوات ! إنها فترة طويلة بالفعل .. ترى كيف يبدو ( أحمد ) الآن ؟ لا بد أنه تغير كثيرًا عن ذلك الصبى الذى كنا نعرفه .

ابتسم الأب وهو ينظر إليها قائلاً :

ـ إن هذا ينطبق عليك أنت أيضًا .

قالت ( هالة ) وهى ما زالت شاردة بأفكارها :

ـ تُرى .. هل اختلف كثيرًا عن تلك الصورة التى ما زالت عالقة بتفكيرى ؟

ـ لا بد .. فأنت أيضًا اختلفت كثيرًا عن الصبية ذات الثلاثة عشر عامًا حينما رحل عن منزل أبيه .

قالت وقد ارتسمت ملامح الارتياح على وجهها :



ـ المهم أنه عاد إلى المنزل .. وهذا شىء سيسعد طنط ( نوال ) ويدخل البهجة على نفسها ويعجل بشفائها .

هزّ الأب رأسه قائلاً :

ـ نعم .. لقد مرت هذه السيدة بفترة طويلة من الأحزان ، وقاست كثيرًا بعد وفاة ابنها الصغير ، ورحيل الابن الكبير عن المنزل .. حتى هاجمها المرض .. وترك آثاره فى قلبها العليل .

ـ أتمنى أن تسترد صحتها بعد عودة ابنها .. فأنا أحب هذه السيدة كثيرًا .. فهى حنون للغاية وتعاملنى كما لو كنت ابنة لها .

قال الأب وعلى وجهه علامات الأسى :

ـ لقد كان كل منكما بحاجة إلى الآخر .. خاصة خلال السنين الماضية .

هى .. كانت تجد فيك بعض السلوى بعد فقدها لولديها ، وأنت كنت ترين فيها الأم التى حرمت منها مبكرًا .. وهذا جعل الرابطة بينكما قوية .

ـ معك حق يا أبى .. إن بيننا رابطة قوية للغاية .

تأمل الأب ابنته بإعجاب مقترن بحنان جارف قائلاً :

ـ كم كنت أتمنى لو كانت أختك ( سماح ) لديها نفس طباعك وأخلاقك !

ـ لا تظلمها يا أبى .. فالظروف التى مرت بها ..

قال لها معارضًا :

ـ ظروف ؟ أية ظروف ؟ تلك الظروف التى تتحدثين عنها مررتما بها أنتما الاثنتان .. لكنها لم تغير شيئًا مما عهدته فيك منذ الصغر .

أما هى فلا أدرى .. ما الذى يجعلها مختلفة عنك هكذا ؟ لماذا تتصرف أحيانًا بمثل هذا الطيش والاندفاع .. وبكل تلك الأنانية ؟ ولماذا لا تكون مثلك ؟

ـ هل فعلت شيئًا أغضبك ؟

قال الأب منفعلاً :

ـ شىء ؟ بل قولى أشياء ! لقد كانت مخطوبة لشاب



ممتاز له سمعة طيبة فى المنصورة ، ويعمل فى وظيفة مرموقة ، ومن أسرة لها مكانتها .

وبرغم اقتناعى التام به وترحيبى الكبير بأن يكون هذا الشاب زوجًا لابنتى .. فإننى لم أحاول أن يكون لرأيى هذا أى تأثير على اختيارها .. ولم أفكر للحظة واحدة فى الضغط عليها من أجل أن توافق عليه .

وإنما تركت لها حرية الاختيار كاملة .. وطلبت منها أن تأخذ الوقت الكافى لتقرر ما إذا كانت موافقة على الارتباط به أم لا .

ـ نعم هذا هو ما حدث .. وهذا هو أسلوبك دائمًا فى التعامل معنا .. فقد كنت دائمًا ومازلت أبًا ديمقراطيًا .. ولم تحاول قط أن تفرض رأيك علينا .. وأنا أحترم فيك ذلك يا أبى .

ـ إذن .. فأنت تشهدين أننى لم أمارس أى ضغط عليها .. وأنها وافقت على الارتباط بالدكتور ( سمير ) بكامل إرادتها .. وبرضائها التام على هذه الخطبة .

ـ بل كانت سعيدة بارتباطها به .

ـ حسن .. وما الذى حدث بعد ذلك ؟ شهر واحد فقط .. بعدها أعلنت سخطها على هذا الارتباط .. وأصرت على إنهاء هذه الخطبة دون سبب واضح أو مقنع .

وبرغم تمسك الشاب بها .. وبذل كل الجهد فى سبيل إرضائها .. إلا أنها عاملته أسوأ معاملة .. ودفعته دفعًا للتراجع عن الزواج بها .

قالت ( هالة ) بأسف :

ـ نعم .. لقد كان الدكتور ( سمير ) شابًا ممتازًا .. وكان من المؤسف إنهاء هذا الارتباط .

لقد حاولت أن أثنيها عن ذلك .. لكنها مصرة على عدم إتمام الزواج .

ـ وبرغم ذلك .. امتثلت لإرادتها .. ولم أحاول الضغط عليها أيضًا لكى تتراجع عن موقفها من هذه الزيجة التى كنت أتمناها لها .

قلت إنها حياتها .. ومن حقها أن تختار ما تريده .. وأن تتراجع عما ترفضه .



بعدها عرفت أنها ارتبطت بعلاقة عاطفية بزميل لها فى العمل .. وأن هذا الشخص كان أحد العوامل التى دفعتها إلى إنهاء خطبتها .

وبرغم أن هذا تصرف غير أخلاقى .. وبرغم أنها أخفت عنى ذلك الأمر ، إلا أننى لم أحاسبها على تصرفها هذا وطلبت منها أن تقدم لى تفسيرًا لهذه العلاقة .. فأخبرتنى أن هذا الشاب يريد الارتباط بها .. وأنه سيتقدم لخطبها بعد عودة أبيه من السفر فى تلك الدولة العربية التى يعمل بها .. وأنها تأمل فى أن أوافق عليه .

ولم أكن موافقًا عليه .. لأنه لم يكن الشاب الذى أتمناه زوجًا لابنتى .

لكننى امتثلت لرغبتها .. ولم أعارض فى أن يتقدم لخطبتها .. وقلت هذه حياتها .. ومن حقها أن تختار ما تريده .

كل ما طلبته منها أن تحافظ على التقاليد التى يتعين مراعاتها فى مدينة صغيرة كالمنصورة .. وأن تقتصر لقاءاتها مع ذلك الشاب داخل نطاق العمل ريثما تتم خطبته عليها بالفعل .

كما طلبت منها أن تتفق معه على موعد محدد للحضور إلى المنزل مع والده .. وطلب الزواج منها رسميًا .

لكنها لم تلتزم بشىء مما طلبته منها .. فقد تعددت اللقاءات بينها وبين ذلك الشاب خارج العمل دون مراعاة لأية اعتبارات .

كما أنه لم يلتزم بالموعد الذى حدده لطلب يدها بحجة أن والده لم يعد من السفر بعد .

وأخيرًا جاءت لتخبرنى بأنها قررت إنهاء هذه العلاقة .. وأنها لا تريد هذه الخطبة .

ـ ربما لأنها وجدته غير جاد فى الارتباط بها .

ـ بالعكس .. لقد علمت أن والده قد عاد من السفر وأنه أراد تحديد موعد لمقابلتى وطلب يدها بالفعل .

لكن ( الهانم ) وجدت نفسها فجأة مترددة بشأن الزواج منه .. وأخبرتنى بأنها غيرت رأيها بشأن هذا الارتباط .

بعد أن كانت مدلهة فى حبه .. وبعد أن تركت خطيبها الأول من أجله ..



وبعد أن أساءت إلى سمعتها بتعدد لقاءاتها معه خارج نطاق العمل .. تأتى اليوم لتقول لى إنها قد غيرت رأيها .. فبماذا تسمين ذلك ؟

تلعثمت ( هالة ) وهى لا تجد ما تدافع به عن أختها .. فهى تعرفها جيدًا .. وتعرف أن ما يقوله أبوها صحيح ..

إنها فتاة هوائية ومندفعة .. وعواطفها متقلبة .. وقد حاولت أن تنصحها كثيرًا .. لكنها لم تجد أى استجابة من جانبها :

ـ أبى .. إنها .. ربما ...

قال الأب محتدًا وهو يقاطعها :

ـ إنها بحاجة لشىء من الحزم والشدة .. ومع الأسف كان يتعين على أن استخدمهما معها من البداية .. لإصلاح تصرفاتها المعوجة ، لكننى لم أفعل .

ووضع يده على كتف ابنته قائلاً :

ـ أنت تعرفين أننى لم أكن قط أبًا متزمتًا .. لكن من الممكن أن أكون كذلك لو أردت .. ولو لم ينصلح حالها .

بالأمس عادت إلى المنزل فى ساعة متأخرة من الليل .. بدعوى أنها كانت تحضر حفل عيد ميلاد إحدى صديقاتها .

وعندما ناقشتها بشأن تأخيرها .. انخرطت فى البكاء .. والحديث عن أمها المتوفاة .. وحرمانها من الحنان .. إلى آخر تلك التمثيلية التى اعتادت أن تستخدمها للتأثير على .

لكنى سئمت مشاهدة هذه التمثيلية .. ولست مستعدًا للتأثر بها مرة أخرى .

اذهبى إليها وأخبريها بأنه يتعين عليها منذ الآن أن تحسن التصرف ..

وإلا كان لى معها شأن آخر !

* * *





## ٦ ـ لست مستهترة ..

سمعت ( هالة ) صوت موسيقا صاخبة تنبعث من حجرة أختها .. طرقت الباب .. لكنها لم تتلق إجابة .. ففتحته ودلفت إلى الداخل .

حيث رأت أختها وهى ترقص وتتمايل على أنغام الموسيقى .

فأسرعت بإغلاق الباب خلفها .. وإغلاق جهاز التسجيل أيضًا .

نظرت إليها أختها بضيق قائلة :

ـ ما هذا ؟ لماذا أغلقت جهاز التسجيل ؟

سألتها ( هالة ) قائلة :

ـ ما الذى تفعلينه ؟

قالت لها بلا مبالاة وهى تضغط مرة أخرى على زر التشغيل فى جهاز التسجيل :

ـ كما ترين .. أتدرب على إحدى الرقصات الجديدة ..

عادت ( هالة ) لإغلاق الجهاز مرة أخرى :

ـ وهل هذا وقت للرقص والموسيقا ؟

وضعت ( سماح ) يدها فى خصرها قائلة :

ـ هل صدر قرار بتحريم الرقص والموسيقى فى هذا التوقيت ؟

ثم ما شأنك أنت ؟

ـ على الأقل اعملى حسابًا لوجود أبيك .. واخفضى صوت هذه الموسيقا الصاخبة .

قالت ( سماح ) وقد عادت إلى لا مبالاتها :

ـ هل هذه هى المشكلة ؟

وأوصلت الأسلاك الخاصة بالسماعات التى وضعتها حول أذنيها بالجهاز ، لتستمع إلى الموسيقى وحدها وهى تواصل الرقص .

عادت ( هالة ) لإغلاق الجهاز مرة أخرى وهى تصيح فى وجهها قائلة :

ـ كفاك استهتارًا ولامبالاة ! أريد أن أتحدث إليك .



نزعت (سماح) السماعات من فوق أذنيها قائلة بامتعاض :

ـ ماذا تريدين ؟

ـ أريد أن يكون لديك بعض الإحساس بالمسئولية .. على الأقل تجاه نفسك .

نظرت ( سماح ) إلى أختها بغضب قائلة :

ـ ما هذا الذى تقولينه ؟ أتقولين إننى ليس لدى إحساس بالمسئولية ؟

ـ لو كان لديك إحساس حقيقى بالمسئولية ما كنت قد كذبت على أبيك بالأمس وأخبرته أنك ذهبت لحضور عيد ميلاد إحدى صديقاتك .. بينما الحقيقة هى أنك خرجت مع شاب تعرفته منذ يومين فقط فى النادى .. وسهرت معه فى (كازينو النخيل) إلى هذا الوقت المتأخر من الليل !

ارتبكت (سماح) لدى سماعها ذلك .. فقالت لأختها بصوت مضطرب :

ـ كيف عرفت ذلك ؟

ـ هناك أشياء لا يمكن إخفاؤها فى مدينة صغيرة كمدينتنا .

لقد رآك شقيق إحدى صديقاتى وصديقتى هذه أخبرتنى بما سمعته من شقيقها .. وقد رجوتها ألا تخبر أحدًا بذلك .. ووعدتنى أن تفعل .. لكن من يدرى ؟

ألم تفكرى .. كيف يكون موقفك إذا ما عرف أبوك بذلك ؟ وبأنك قد كذبت عليه ؟

ألم تفكرى فيما يمكن أن تكون عليه صورة أبينا ؟ الرجل الذى عاش حياته محترمًا وذا سمعة طيبة بين الجميع هنا ، عندما يقال إن ابنته الكبرى اعتادت الخروج مع الشبان من وراء ظهره ، وإنها قد أصبحت مثالاً للفتاة المستهترة .

صاحت ( سماح ) فى وجه أختها بحدة قائلة :

ـ كيف تجرئين على التحدث إلىّ هكذا ؟ هل نسيت أننى أختك الكبرى ؟!



ـ مع الأسف كنت أتمنى أن تكونى قدوة لى فى تصرفاتك بدلاً من أن أضطر لأن ألفت نظرك لتصرفات كهذه .

ـ أية تصرفات هذه التى تتحدثين عنها ؟ ما الخطأ إذا كنت قد خرجت للنزهة مع شاب أبادله ويبادلنى الإعجاب .

إننا نحيا فى مدينة ولسنا فى قرية صغيرة من قرى ( المنصورة ) ، حتى يكون أمر كهذا مجالاً للأحاديث والمناقشات .

كما أننى فتاة ناضجة ومتعلمة ، وأعمل فى وظيفة محترمة أختلط فيها بزملاء عديدين .

ـ وهل من المفترض أن تلتقى بهؤلاء الزملاء فى الكازينوهات ؟

قالت ( سماح ) فى تحد :

ـ نعم .. من المفترض أن يحدث ذلك .. مادمت لا أفعل شيئًا أخاف أو أخجل منه ، فنحن فى التسعينات ولسنا فى العشرينات من هذا القرن .

ـ إذا كانت هذه هى نظرتك للتسعينات فأنت مخطئة .

ـ إذن استمرى أنت فى التمسك بأفكارك العقيمة ولا تتدخلى فى شأنى .

ـ إن أباك غاضب منك .

عقدت ( سماح ) ذراعيها أمام صدرها قائلة :

ـ آه .. قولى إذن إنكما تحدثتما معًا بشأنى ، حيث مثلت أمامه دور الفتاة الطيبة البريئة ، وصورتنى أمامه فى دور الفتاة . المستهترة الشريرة .. أليس كذلك ؟

قالت ( هالة ) بهدوء :

ـ إنه قلق بشأنك ويريد أن يطمئن عليك .

ـ لا يوجد ما يدعو للقلق .. إننى بخير كما ترين .

اقتربت ( هالة ) من أختها لتضع يدها على كتفها قائلة :

ـ ( سماح ) أنت أختى .. لذا فإننى لا أستطيع أن أمنع نفسى من الاهتمام بك .. وأنا أيضًا قلقة بشأنك .



قالت ( سماح ) منفعلة :

ـ إننى لا أدرى .. ما الذى يدعو إلى كل هذا القلق من أجلى ؟ ولماذا لا تهتمين بنفسك بدلاً من أن تنشغلى بى ؟

ـ لأنك لا تعرفين مصلحة نفسك .

نظرت إليها ( سماح ) قائلة بسخرية :

ـ وأنت التى ستعرفيننى ما هى مصلحتى ؟

ـ لماذا رفضت الاستمرار فى الارتباط بالدكتور ( سمير ) ؟

ـ لأننى وجدته غير مناسب لى .

ـ و ( مجدى ) ؟

ـ هو الآخر لم يكن مناسبًا لى .

ـ لكنك أنت التى اخترته .

ـ لقد اكتشفت فيما بعد أننى كنت مخطئة .

ـ وهذا الذى ذهبت معه إلى الكازينو .. هل تجدينه

مناسبًا لك الآن .. ثم تكتشفين أنه لم يعد كذلك فيما بعد ؟ ثم يأتى الذى يليه .. والذى يليه .. إلى أن تمر بك السنون دون أن تجدى ذلك الشخص المناسب الذى تبحثين عنه .. وكل ذلك على حساب عمرك وسمعتك .

ـ إذا كنت تخشين أن يؤثر ذلك عليك وعلى مستقبلك يمكنك أن تتبرئى من أخوتك لى .. ويمكن لأبى أن يفعل ذلك أيضًا إذا كان يرى أننى لم أعد أهلاً للثقة .. وأننى لا أستحق أن أكون ابنته .

قالت ( هالة ) وقد تأثرت بما سمعته من أختها :

ـ إنه لم يفقد ثقته بك كما تظنين .

صاحت ( سماح ) فى وجه أختها قائلة :

ـ إذن .. ما معنى هذا الكلام ؟ وما معنى هذه المحاضرة التى تلقينها علىّ ؟

ـ ( سماح ) .. إننى ...

لكنها قاطعتها بانفعال قائلة :

ـ اصمتى ! لا أريد أن أسمع منك كلمة أخرى !



ثم انخرطت فى بكاء حار .. فاندفعت نحوها أختها لتتلقاها بين ذراعيها .. حيث ألقت ( سماح ) برأسها على كتفها .. وهى تنتحب قائلة :

ـ أنت مخطئة يا ( هالة ) فيما تظنينه بى ، وكذلك أبى .. فأنا لست على هذه الدرجة من السوء التى تتصورانها ..

لست بالفتاة المستهترة أو الطائشة كما تعتقدين .. لقد أحببت ( مجدى ) .. إنه الشخص الوحيد الذى أحببته .. لكنه تخلى عنى .. وأبعدنى عن قلبه وحياته .

نعم .. يا ( هالة ) .. هو الذى تراجع عن ارتباطه بى بعد أن ضحيت بزواجى من ( سمير ) لأجله .

لقد اكتشفت فيما بعد أن الأمر لم يكن ينطوى على حب حقيقى كما تصورت ، لكنه كان يتلاعب بعواطفى نحوه .

لم أكن بالنسبة له سوى لعبة يتسلى بها ، وعندما مل الدمية التى كان يلعب بها .. أبعدها عنه واتجه للبحث عن لعبة أخرى .

هذه هى الحقيقة .. لقد تراجع ( مجدى ) عن وعده لى ورفض الارتباط بى برغم أننى أحببته .. ولم أحب سواه .

وكبريائى منعنى من الاعتراف بهذه الحقيقة لك أو لأبى .. ففضلت أن يكون الرفض والتراجع أمامكما من جانبى أنا .. وليس من جانبه .. فضلت أن أظهر أمامكما بمظهر الفتاة المتقلبة هوائية المشاعر بدلاً من أكون الفتاة المخدوعة .

واستطردت قائلة وهى تجهش بالبكاء :

ـ أن تغضبا منى أفضل بالنسبة لى من أن تشفقا علىّ أو ترثيا لى .

ضمت ( هالة ) أختها إلى صدرها وهى تمسح على شعرها فى تعاطف قائلة :

ـ الأمر لا يستحق الشفقة أو الرثاء يا (سماح ) .. كل ما هنالك أنك أخطأت اختيار الشخص .

ـ وقد دفعت ثمن هذا الخطأ من مشاعرى وأعصابى .. كم لجأت إلى غرفتى وأغلقتها علىّ لأبكى



بالساعات .. وكم بذلت من جهد لأخفى عنك وعن أبى عبراتى .

وكم تحملت من لوم وتأنيب منكما ومن نفسى ، دون أن أجد من أبوح له بآلام جرحى .

ضمتها ( هالة ) إلى صدرها بقوة وقد تأثرت بشدة ، حتى إن العبرات تساقطت من عينيها أيضًا وهى تقول لها :

ـ يا حبيبتى يا ( سماح ) !

نظرت ( سماح ) إلى أختها قائلة :

ـ إياك أن تظنى بأختك أى ظن سيئ .. إن كل ما أفعله هو أننى أحاول أن أبحث لنفسى عن وسيلة للنسيان .. وربما وجدتنى فتاة أخرى بعد أن تلتئم جراح قلبى .. وأنسى حبى لـ ( مجدى ) ..

* * *



# ٧ـ مشاعر أبى ..

تمدد ( أحمد ) فى فراشه وقد أسند ظهره إلى الوسادة وهو يحدق فى الباب المغلق ساهمًا ..

لقد مضى أسبوع منذ عودته إلى هذا المنزل .. لكنه أصبح يشعر بأن وجوده لم يعد له معنى .. أو هدف .

إن والده ما زال على موقفه منه .. كان يأمل أن تكون موافقته على عودته بداية جديدة لكليهما ..

بداية ينسيان معها الماضى وجراحه الأليمة .. ويبدآن معًا فى إعادة الأمور إلى طبيعتها .. وإلى ما كانت عليه .

كان يأمل فى أن يستعيد دفء ومشاعر الأسرة التى حرم منها بعد إجباره على مغادرة هذا المنزل .

لكنه لم يحظ بهذا الشعور منذ عودته .

حقًا إن أمه تغمره بحنانها .. وهى الوحيدة التى تتعاطف معه وتصدق أنه برىء من ذنب وفاة أخيه ..



لكن معاملة أبيه له تجعلها متوترة دائمًا .. وهى تبذل الكثير من الجهد لكى تقنعه بأن أباه لا يكرهه .. وأن الأمور ستنصلح حتمًا .. لتعود العلاقة بينهما إلى سيرتها الأولى .

كما أنها تحاول أن تخفى عنه حزنها لهذه الطريقة التى يتعامل بها أبوه معه .. على حساب أعصابها وانفعالاتها .

وهو بدوره يحاول أن يهون عليها الأمر .. ويتظاهر بأن تلك التصرفات لا تؤثر فيه .. بل إنه أحيانًا لا يلحظها .. حتى لا يسبب لها أى ضيق أو ألم من أجله .

لكنه يشعر بأنه لا يستطيع أن يواصل الحياة بهذا الأسلوب .

لقد بدأ يشعر بالاختناق فى هذا المنزل .

ولم يعد يتحمل نظرات الأب التى تذكره فى كل لحظة أنه المسئول عن موت أخيه .. وتشعره بالذنب .

كان من الأفضل أن يبقى الوضع على ما كان عليه ..

وكان يكفيـه أن يأتـى متسللاً إلى هذا المنزل من آن لآخر لرؤيـة أمـه ، والاطمئنـان عليها بـدلاً من هـذه الحياة غير المحتملة ..

خاصة وأنه ظـن أن عودتـه إلـى المنزل ستتضمن حتمًا عودته إلى العمل فى مصنع النسيج الذى يمتلكـه أبوه ..

لكن شيئًا من هذا لم يحدث .. فهو لـم يمـارس أى عمل بعد .. ولا يجد ما يفعله طوال اليـوم فـى المنزل سوى التجوال فى الحديقـة .. والجـلوس مـع أمـه .. وترقب وصول الأب .. الـذى لا يحظـى منـه سـوى بدقائق قليلة لا تتضمن أى حديث بينهمـا .. ولا ينالـه منها سوى ذلك الوجـه المتـهجم ، وتلك النظرات التى تبدو كما لو كانت سهامًا حادة تخترق جسده .

إذن .. ما جدوى بقائـه هنا ؟ وما الذى يضطره إلى تحمل هذا الضيـاع وهـذه الكراهيـة .. وذلـك الجـو المتوتر ؟

وانطلقت زفرة طويلة من صدره وهو يردد لنفسه :



ـ إنها أمى .. نعم .. لا شىء يبقينى هنا سواها خاصة بعد أن أصبحت إنسانة مريضة .

إنها بحاجة إلى وجودى .. وقد وعدتها بأن أبقى .. وسأبقى من أجلها .

لكن لا بد لهذا الأمر أن يتغير .

لمـاذا لا يمنحنـى فرصـة للتفـاهم معـه .. وتوضيـح ما حدث .. وتصحيح العلاقة بيننا ؟

لكنه عاد ليقول :

ـ كيف يتأتى ذلك وهو مصر على إغلاق كـل الأبـواب بيننا ؟

وبينمـا هو شـارد فـى أفكـاره .. سمع طرقًا علـى الباب .. فنادى قائلاً :

ـ ادخل !

وما لبث أن رأى أمه وهى تدخـل عليـه الحجـرة .. فاعتدل فى جلسته قائلاً :

ـ أمى .. تعالى يا أمى .

قالت الأم وهى تتأمل وجهه بحنان :

ـ ألا تريد أن تتناول إفطارك معنا اليوم أيضًا ؟

ـ لا أشعر برغبة فى تناول أى طعام .

ابتسمت الأم وهى تداعب شعره قائلة :

ـ كيف هذا ؟ لقد أعددت لك إفطارًا شهيًا .. كذلك الذى كنت أعده لك من قبل وأنت صغير .

ـ أشكرك يا أمى .. ولكن ...

ـ حسن .. لقد تناول أبوك إفطاره وغادر المنزل منذ قليل .. إذا كان هذا هو ما يجعلك تسجن نفسك فى غرفتك هكذا .. وتمتنع عن تناول الإفطار .

نهض ( أحمد ) من فوق فراشه قائلاً :

ـ إننى لا أريد أن أفسد شهيته .

قالت الأم وهى تسير بصحبته إلى خارج الغرفة :

ـ ما الذى يجعلك تظن هذا ؟

ـ ألم تلحظى كيف توقف عن متابعة تناوله لإفطاره أول أمس حينما جلست إلى المائدة ؟



قالت الأم محاولة تهوين الأمر :

ـ لكنه كان قد فرغ من تناول إفطاره بالفعل .

قال ( أحمد ) بضيق :

ـ وتلك النظرات التى كان يرمقنى بها فى أثناء الغداء .. كلا يا أمى .

أنت تعرفين جيدًا أنه يضيق بوجودى معه فى مكان واحد .. وأنه مضطر لتحملى فقط بسببك .

ـ هل سنعود إلى هذا الحديث مرة أخرى ؟

ـ إننى أحاول أن أوضح لك الأمر فقط .. وأنا أريد أن أريحه من التعب النفسى الذى يتحمله بسبب رؤيته لى .. وأن أبتعد عن طريقه تمامًا .

ـ لا أحب أن أسمعك تقول هذا .. لقد قلت لك إن أباك يحبك .. ولكن الأمر بحاجة لبعض الوقت والصبر .

قال ( أحمد ) دون أن يتحكم فى انفعاله :

ـ إنك لن تخدعينى بهذا .. كما إننى لم أعد مهتمًا بمشاعره نحوى وما إذا كان يحبنى أم يكرهنى .

ثم استطرد قائلاً وهو يحاول أن يخفف من حدة انفعاله :

ـ إن ما يهمنى الآن هو أنت ، لا أريد أن تنشغلى بهذا الأمر أو تقلقى بسببى .

نظرت إليه وفى عينيها نظرة حزينة قائلة :

ـ وأنا لن أكون سعيدة مادمت أراك على هذا الحال .. إننى أبذل جهدى لإعادة الوئام بينك وبين أبيك .. لكن عليك أن تساعدنى يا بنى .

ـ كيف ؟

ـ أن تحاول التأقلم معه ودفعه إلى التأقلم معك .

عاد ليسألها قائلاً :

ـ كيف ؟

ـ أن تفرض وجودك عليه .. أن تجعله يراك أمامه دائمًا حتى يعتاد ذلك .. أن تجلس معنا على المائدة فى كل مرة نتناول فيها الطعام معًا .. ليعتاد ذلك الجو الأسرى من جديد .



ـ إننى لا أستطيع تحمل نظرات الكراهية التى ينظر بها إلى .

ـ كلما ابتعدت عنه .. كلما ازداد الجفاء بينكما .. لكن تواجدك معه وبجواره سيقرب بينكما .. ومع الوقت ستختفى نظرة الكراهية التى تقول إنك تراها فى عينيه ليحل محلها حنان الأب الحقيقى .

ابتسم ( أحمد ) فى مرارة قائلاً :

ـ أنت خيالية يا أمى .. فأبى ليس من النوع الذى يتغير بسهولة .. وسأبقى دائمًا فى نظره محل اتهام .

ـ لماذا لا تحاول ؟

تنهد ( أحمد ) قائلاً :

ـ مهما حاولت فلن تتغير مشاعره نحوى .

ـ لا يمكنك أن تحكم على ذلك ما دمت لم تحاول .

ـ لا أستطيع أن أفعل ما تريدين .. أن أفرض وجودى عليه .. وأن اضطره لأن يرانى أمامه دائمًا .. مادام لا يطيق ذلك .

يكفى أنه وافق على عودتى إلى منزله .

قالت الأم سريعًا :

ـ إنه منزلك كما هو منزله .

قال لها بسخرية مريرة :

ـ لن تستطيعى أن تقنعينى بذلك .

ثم قال محاولاً تغيير الحديث وهو ينظر إلى المائدة التى وضع عليها الطعام فى حديقة المنزل :

ـ إن رؤية هذا الطعام الشهى قد أثارت شهيتى .. وفى هذه الحالة فأنا مضطر لأن أعدل عن قرارى السابق بعدم تناول الإفطار .. بشرط أن تشاركينى فيه .

قالت الأم فى حنان وقد أسعدها إقبال ابنها على الطعام :

ـ لكنى سبقتك إلى تناول الإفطار مع أبيك .

أمسك بيديها ليجلسها أمامه قائلاً :

ـ إذن شاركينى الجلوس على الأقل .. فهذا يجعلنى أشعر بالتعويض المناسب .

★ ★ ★



# ٨ ـ لقاء الذكريات ..

أخذ ( أحمد ) يجول فى حديقة المنزل وهو يشعر بالضجر .. وما لبث أن لمح الخفير وهو يروى الحديقة مستخدمًا فى ذلك خرطوم المياه .

فوقف يتأمله وقد ارتسمت الابتسامة على وجهه .

تذكر أنه كان يحب أن يفعل ذلك دائمًا وهو صغير .. وأنه كان يستمتع برى الحديقة بنفسه .. وأحيانًا كان يستخدم الخرطوم فى معاكسة الخفير والخادمة برشهم بالماء .

وقد لمحه أبوه وهو يفعل ذلك .. فنهره .. وحذره من استعمال الخرطوم فى رى الحديقة مرة أخرى لكنه لم يرتدع .

واقترب من الخفير قائلاً :

ـ عنك يا عم ( متولى ) ..

قال له الخفير وهو يبعد الخرطوم إلى الجهة الأخرى حتى لا يصاب ( أحمد ) بالبلل :

- العفو يا أستاذ ( أحمد ) .

ابتسم ( أحمد ) قائلاً :

- هل نسيت أننى كنت أتولى رى هذه الحديقة بنفسى من قبل ؟

ضحك الخفير قائلاً :

- كلا .. لم أنس .. ولم أنس أيضًا أنك كنت تعاكسنى دائمًا وترش الماء علىّ بالخرطوم .. لذا .. فأنا أخشى لو قدمته لك أن تكرر ما كنت تفعله معى من قبل .

ضحك ( أحمد ) بدوره قائلاً :

- اطمئن .. لن أفعلها معك هذه المرة .

قال له الخفير :

- ولكن يا أستاذ ( أحمد ) .. لا يصح .

سأله ( أحمد ) مازحًا :

- قل لى .. هل أنت خفير .. أم جناينى ؟

قال له الرجل ضاحكًا :



- الاثنان .. فقد كان والدك يريد شخصًا واحدًا للقيام بالعملين توفيرًا للنفقات .

قال له ( أحمد ) وهو مستمر فى مزاحه :

- إذن .. فأنت تتهم أبى بالبخل .. سأخبره بذلك !

فزع الرجل قائلاً وقد صدق ما قاله ( أحمد ) :

- كلا يا أستاذ ( أحمد ) .. أرجوك .

ضحك ( أحمد ) قائلاً :

- حسن .. دع لى الخرطوم واذهب أنت للقيام بعملك الثانى .. أعنى حراسة الفيلا من الخارج .

ووقف ( أحمد ) يرش الحديقة بالماء وهو يسحب معه الخرطوم منتقلاً من مكان إلى آخر ، وقد وجد فى ذلك وسيلة للتسلية والتخلص من حالة السأم التى تعتريه .

وما لبث أن سمع صوتًا نسائيًا ناعمًا يأتى من خلفه قائلاً :

- أنت ( أحمد ) .. أليس كذلك ؟

استدار فجأة وفى يده الخرطوم .. فتطاير رذاذ الماء فى اتجاه الفتاة التى تحدثه ، ليصيب بعض أجزاء من ثوبها بالبلل .

أسرعت بالابتعاد قبل أن يبتل ثوبها بالكامل .

أبعد ( أحمد ) الخرطوم وقد اعترته حالة من الارتباك والخجل وهو يقترب منها قائلاً :

ـ آسف جدًا .. إننى لم أنتبه .

أخرجت منديلها وأخذت تمسح الأجزاء التى ابتلت من ثوبها قائلة :

ـ هذا واضح .

حاول ( أحمد ) أن يقدم لها منديلاً آخر لتمسح به ثوبها .. لكنها قالت :

ـ لا داعى لذلك .. على أية حال .. الأضرار بسيطة والحمد الله على أننى قد ابتعدت فى الوقت المناسب .

ثم أردفت قائلة وهى تنظر إليه :

ـ مازلت كما أنت .. لم تتغير .. مازلت تهوى



استخدام الخرطوم بنفسك فى رى الحديقة ومعاكسة الآخرين .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ عفوًا .. لكنى لم أقصد معاكستك .. لقد قلت لك إننى لم أنتبه وأن ذلك قد حدث على رغمى ..

قالت له بدلال :

ـ حسن .. وأنا سامحتك .

عاد ليتأملها بدهشة قائلاً :

ـ ولكن .. كيف عرفت اسمى ؟ ومن الذى أخبرك بأمر هوايتى لرى الحديقة بنفسى ؟

قالت له محتجة :

ـ هذه لن أسامحك فيها .. فقد كنت أظن أنك ستتعرفنى سريعًا كما تعرفتك .

قال لها وهو يشعر ببعض الحرج :

ـ فى الحقيقة .. لا أستطيع أن أزعم أننى أعرفك .

ـ لا تقل إنك قد نسيت حبات البطاطس والطماطم التى

كنت أقذفك بها .. ثم أجرى مهرولة قبل أن تتمكن من اللحاق بى .

تأملها ( أحمد ) للحظة وهو يحاول أن يرجع بذاكرته إلى الوراء .. ثم ما لبث أن تهللت أساريره وهو يهتف قائلاً :

- ( هالة ) !

قالت وهى تنظر إليه بعتاب :

- أخيرًا .. تذكرت .

استمر فى تأمله لها وهو يدور حولها قائلاً :

- وكيف كان يمكننى أن أتعرفك .. وقد أصبحت فتاة ناضجة وجميلة هكذا ؟

عندما تركتك كنت طفلة صغيرة لا تتعدين الثلاثة عشر عامًا .. ذات جسد نحيف وضفيرتين ووجه شاحب .

نظرت إليه بغضب قائلة :

- أنا كان وجهى شاحبًا ؟!



ابتسم قائلاً :

- على أية حال .. من الواضح أن الأمر قد اختلف تمامًا الآن .

تأملته بدورها قائلة :

- لا أظن أن الأمر قد اختلف بالنسبة لك كثيرًا .. عدا أنك قد ازددت طولاً .. ويبدو أنك قد غيرت من طريقة تصفيف شعرك .

- إننى سعيد لأننى قد رأيتك .

- لو كان ذلك صحيحًا لحاولت أن تسأل عنا .

- لقد مضى وقت طويل منذ أن ابتعدت عن هنا .. وقد ظننت أنكم ربما قد غادرتم المكان الذى كنتم تقيمون فيه .

- فى الحقيقة إنك لم تظن شيئًا .. لأنك لم تفكر أصلاً فيما إذا كنا موجودين أم لا .. فالأمر لم يكن سيكلفك سوى بضع خطوات صغيرة للسؤال عنا فى نهاية الشارع .. خاصة وقد عرفت أنك كنت تأتى إلى هنا خلسة .. لكنك لم تفكر قط فى زيارتنا .. أما أنا

فحينما علمت بأنك قد عدت إلى المنزل قررت أن آتى لزيارتك ورؤيتك .

ابتسم وهو يعود لتأملها قائلاً :

ـ إننى سعيد لأننى قد رأيتك .. وسعيد أكثر لأنك ما زلت تذكريننى .

ابتسمت وهى تتأمله بدورها كما لو كانت تراه لأول مرة .. قائلة لنفسها :

ـ ربما أن مظهره لم يختلف كثيرًا .. لكنه أصبح أكثر وسامة عن ذى قبل .

قالت له وهى تحاول أن تتخلص من تأثير جاذبيته عليها :

ـ هل نسيت أننا كنا أصدقاء ؟

ـ لقد أخبرتنى أمى عن رعايتك لها .. وأنا أريد أن أشكرك على ذلك .

ـ إننى لا أستحق شكرًا على ذلك .. فأنا أعدها بمثابة أم لى ، لذا فمن واجبى أن أرعاها .. كيف حالها الآن ؟



ـ أظن أنها قد تحسنت عن ذى قبل .

ـ أعتقد أن لعودتك تأثيرًا كبيرًا فى ذلك .

ـ هل أنهيت دراستك ؟

ـ إننى فى السنة الأخيرة بكلية الآداب .

دعاها للجلوس إلى المائدة التى تحتل أحد أركان الحديقة قائلاً :

ـ تفضلى .

لكنها اعتذرت قائلة :

ـ مرة أخرى .. فأبى ينتظر عودتى .. سأذهب لرؤية طنط ( نوال ) أولاً ، ثم أعود إلى المنزل .

ـ لكننا لم نتحدث معًا بعد .

ابتسمت وهى تتطلع إليه قائلة :

ـ ما دمت عدت لتستقر هنا .. فلا بد أننا سنلتقى كثيرًا وسيكون بيننا العديد من الأحاديث .

وأحست برعشة فى يدها وهى تصافحه لم تدر سببها .. واستدارت وهى تتأهب للذهاب لرؤية والدته .

لكنها توقفت فجأة وهى تستدير إليه قائلة :

ـ أما زلت تذكر شجرة البرتقال التى كنت تحب أن تقطف ثمارها دائمًا فى منزلنا ؟ وكنت آتيك ببعضها خلسة من وراء أبى ؟

ابتسم وهو يستعيد ذكرى تلك الأيام قائلاً :

ـ لا أظن أننى قد تناولت أشهى من ذلك البرتقال الذى تطرحه شجرتكم .

ابتسمت قائلة :

ـ إنها ما زالت مثمرة يمكنك أن تأتى إلى منزلنا لو أردت أن تتذوق بعضها

ضحك ( أحمد ) قائلاً :

ـ أخشى أن يغضب ذلك أباك .

ضحكت بدورها قائلة :

ـ اطمئن .. لن يغضب منك هذه المرة .. خاصة لو لم تستخدم الأحجار فى إسقاط الثمار كما كنت تفعل من قبل .



وهمت بالذهاب ، لكنه استوقفها مرة أخرى قائلاً :

ـ بالمناسبة .. ما أخبار أختك الكبيرة ؟

ـ ( سماح ) .. إنها بخير .. لقد تخرجت فى كلية التجارة ، وهى تعمل الآن فى وظيفة بإحدى الشركات .

ـ لا تنسى أن تسلمى لى عليها .

ـ سيكون من الأفضل أن تسلم عليها بنفسك .. فهى ستسعد كثيرًا برؤيتك .

ـ لا بد أننى سأفعل .. سلمى لى عليها حتى أراها .

ـ وابتعدت متجهة إلى الفيلا وهو يرقبها بنظراته ، وقد ارتسمت ملامح الانشراح على وجهه .

لقد سعد برؤية ( هالة ) .. وسوف يسعد أكثر إذا ما التقى بـ ( سماح ) ..

فقد ذكرته رؤيته لـ ( هالة ) .. بمشاعره القديمة تجاه أختها .. وعاطفته القديمة نحوها .

* * *

## ٩ ـ أيامنا الجميلة ..

عاودته الذكرى بعد انصراف ( هالة ) .. ذكرى تلك الأيام السعيدة وصحبته لهاتين الفتاتين فى صباهما .

وتساءل .. كيف أمكنه أن ينسى ذكرى تلك الأيام الجميلة ؟

ولكن هل نسيها حقًا ؟ أم أنها كانت كامنة فى جزء سحيق من عقله وقلبه ، فى انتظار الوقت المناسب أو اللحظة المناسبة لتظهر من جديد ؟

لقد عرف ( هالة ) و( سماح ) وهما طفلتان صغيرتان بحكم الصلة الوطيدة التى كانت تربط بين أبيه وأبيهما .

وقد ارتبط بهما هو وأخوه بصلة حميمة ، حتى إن والدته كانت ترشحه دائمًا للزواج من ( سماح ) حينما يكبران ، كما كانت تفعل نفس الشىء بالنسبة لأخيه و( هالة ) .

وقد تأثر بذلك .. واستقرت الفكرة فى وجدانه ..



فأصبح ينظر إلى ( سماح ) كما لو كانت خطيبته .. وأن زواجه منها أصبح أمرًا عاطفيًا .

وعندما وصلا إلى سن الصبا .. تسلط هذا الشعور على تفكيره فازداد تعلقه بها .

لقد كان فى السادسة عشرة من عمره حينما اضطر للابتعاد عن المنزل .. وكانت هى فى الخامسة عشرة من عمرها .. فقد كانت تصغره بعام واحد .

كما أن أخاه رحل عن الحياة وهو فى الثالثة عشرة من عمره وهو نفس عمر ( هالة ) تقريبًا .

وكان يشعر بأن ( سماح ) بدورها تميل إليه .. وتفضله على غيره من فتيان المنطقة الذين كانوا يحاولون خطب ودها .

كما كان يحاول دائمًا استعراض مهارته فى السباحة أمامها ، وإحراز الميداليات لينال إعجابها .

لكن جاءت فترة حينما نضج وابتعد عن هذا المنزل .. دون أن تتاح له الفرصة لرؤيتها بصورة مستمرة كما كان يفعل من قبل .. ظن خلالها أن ملامحها تتلاشى

من ذهنه تدريجيًا .. وأن عاطفته المراهقة الجياشة تجاهها تخبو مع الوقت .

فأقنع نفسه أنها لم تكن عاطفة حقيقية .. وإنما هى بالفعل مشاعر مراهقة لصبى أقنعوه وهو طفل أنه سيتزوج من ابنة الجيران .. لكن .. ماذا يعنى تفكيره فيها الآن .. ولهفته على رؤيتها وتحرك مشاعره القديمة لدى تذكره لها ؟

هل هو حنين إلى الماضى ؟ أم أن تلك المشاعر ما زالت حية بداخله ، وليست مجرد مشاعر وهمية متقلبة لفتى فى السادسة عشرة من عمره ؟

على أية حال إن لقاءه بها هو الذى سيحدد ذلك .. وكل ما يحسه الآن هو أنه فى شوق لأن يراها .. وأن يستعيد معها لحظات جميلة ضاعت مع الزمن .

* * *

ظلت ( هالة ) تقفز طوال الطريق بعد مغادرتها لفيلا الحاج ( عبد الراضى ) .. فى أثناء عودتها إلى منزل



أبيها .. كما لو كانت طفلة صغيرة سعيدة ، وهى لا تعرف ما الذى جعلها تفعل ذلك .. دون أن تتمكن من السيطرة على تصرفاتها الطفولية .

كل ما تعرفه أنها كانت سعيدة سعادة لا تدرى كنهها .. وأن قلبها كان يخفق بشدة .

وتوقفت للحظة وهى تلهث .. قائلة لنفسها إنه من المؤكد أن هناك تفسيرًا لهذه البهجة التى تحسها .. ولخفقان قلبها على هذا النحو .

ومن المؤكد أنها تعرفه .. فلماذا تحاول أن تنكره ؟

ولماذا لا تعترف صراحة أنها سعيدة لأنها رأت ( أحمد ) من جديد ؟

وأنها كانت فى شوق ولهفة لأن تراه بعد هذا الغياب الطويل .

لقد كانت شديدة التعلق بـ ( أحمد ) وهى طفلة صغيرة ..

وكانت تحب دائمًا أن تتواجد معه فى الأماكن التى

يوجد بها ، وأحسست أحيانًا بالغيرة من أختها لأنها كانت تستحوذ على القدر الأكبر من اهتمامه .

وبرغم كون سنها مماثلة لسن أخيه المتوفى إلا أنها لم تشعر بميل حقيقى إليه .. فقد كان أنانيًا ويتعامل معها بقسوة وغلظة .

بعكس ( أحمد ) الذى كان يعاملها برقة وحنان برغم مشاغباتها العديدة له .. كان يشبه أحيانًا أبا حنونًا ومثالاً حقيقيًا للرجولة المبكرة برغم سنوات عمره القليلة .

وكانت ترفض بإباء وهى طفلة فى الثامنة من عمرها مداعبة أمها لها بأنها عندما تكبر ستزوجها من ( أكرم ) .. وتقول بإصرار .. إنها عندما تكبر لن تتزوج إلا من ( أحمد ) .. فكانت الأم تضحك وتندهش لذلك .

ويبدو أن هذا الطفل .. والصبى الذى عاش فى خيالها وهى طفلة صغيرة ظل مسيطرًا على أحلامها دون أن تدرى .

فهى لم ترتبط بأى رباط عاطفى مع أى شاب منذ



نضوجها ، وبعد أن تحولت إلى فتاة لها مشاعر وأحاسيس تختلف كثيرًا عن تلك الطفلة التى كانتها فى يوم من الأيام .

لكن يبدو أن ذلك التحول والاختلاف فى المشاعر والأحاسيس ، لم يعتره تحول عاطفى عن مشاعر الحب الطفولية البريئة التى عرفتها ، واستقرت فى وجدانها دون أن تدرى .

فبرغم زمالتها للعديد من الشبان فى أثناء دراستها فى الجامعة ، إلا أنها لم تجد فى أحد منهم صورة مشابهة لذلك الفتى الذى فارقها منذ تسع سنوات دون أن يفارق خيالها .

ولم تجد بديلاً فى المراحل الأولى من شبابها لتلك المشاعر التى عرفتها فى طفولتها برغم بساطة تلك المشاعر وسذاجتها فى تلك المرحلة المبكرة من عمرها .

إنها سعيدة لأن ( أحمد ) عاد إلى منزله ، وإلى أمه التى كانت فى شوق إلى عودته وإلى وجوده معها .

كما أنها سعيدة لأنه ستتاح لها الفرصة مرة أخرى لكى تلتقى به من جديد ، وتتحدث معه كما كان يحدث من قبل .. برغم اختلاف مظهريهما ومشاعرهما ، ونظرتهما للحياة بعد السنوات التى أضيفت إلى عمريهما .

★ ★ ★

تأملته الأم وهى تراه ساهمًا يحدق فى الفضاء الممتد أمامه وقد شرد بأفكاره بعيدًا .

نادته عدة مرات قبل أن يتنبه إليها ويلتفت نحوها ، حيث سألته :

ـ لقد ناديتك عدة مرات .. لكن يبدو أنك كنت شاردًا بأفكارك بعيدًا حتى إنك لم تسمعنى .

قال وهو ينهض لاستقبالها :

ـ آسف يا أمى .. يبدو أننى كنت كذلك بالفعل .

قالت وهى تحيطه باهتمامها :

ـ وإلى أين شردت بك أفكارك ؟



ابتسم قائلاً :

ـ ليس إلى مكان محدد .

ـ إننى قلقة بشأنك يا ( أحمد ) .

ـ وما الذى يدعوك إلى القلق ؟

ـ لقد أصبحت كثير الشرود .. وأشعر بأنك لست سعيدًا بوجودك هنا وأنك مضطر للبقاء من أجلى .

قال ( أحمد ) بعد برهة من الصمت :

ـ هذا صحيح .. وقد أخبرتك بذلك من قبل .

قالت الأم وقد أطلت مظاهر الحزن من عينيها :

ـ وهل تظن أننى سأكون راضية لا ضطرارك للبقاء فى مكان لا ترتاح إليه ، حتى لو كان هذا المكان هو المنزل الذى عشت وتربيت فيه ؟

تنهد ( أحمد ) بعمق قائلاً :

ـ إن كل جزء من هذا المكان يذكرنى بأخى .

قالت الأم وقد ازدادت نظرة الحزن فى عينيها عمقًا :

ـ لقد اختار الله أخاك إلى جواره .. فلا داعى لأن نجدد الأحزان .

وإذا كان هذا المكان يحرك فى نفسك مشاعر أليمة ، يمكننى أن أتحدث إلى أبيك للانتقال إلى مكان آخر .

ـ إن تغيير المكان لن يحدث اختلافًا كبيرًا ، مادامت نظرات أبى تذكرنى دائمًا بأننى المسئول عما حدث .

ـ لا تلق باللوم كله على أبيك .. فقد قلت لك من قبل إن عليك أن تخطو نحوه بخطوات من جانبك ، تساعده وتساعدك على التآلف من جديد .

ـ وهل تظنين أننى لا أريد ذلك ؟ ولكن كيف أفعله ؟ وهل سيسمح لى هو بهذا التقارب ؟

ـ عليك أن تسعى إليه .

ـ لن يتيح لى الفرصة لذلك .. ولن يمكننى تحمل صده لى دائمًا .

ـ أخشى أنك تحاول أن تجد مبررًا لتهجرنى مرة أخرى .



ـ لقد ابتعدت عنك على رغمى .. وأنت تعرفين ذلك يا أمى .. وسأظل أحاول ألا يحدث ذلك مرة أخرى .

ـ سأدعو الله من أجل ذلك .

وما لبثت أن استطردت قائلة :

ـ هل التقيت بـ ( هالة ) ؟

ـ نعم .. إننى لم أتعرفها فى البداية .

ـ لقد صارت شابة جميلة .. أليس كذلك ؟

ـ بلى .. لقد اختلفت كثيرًا عن الطفلة التى رأيتها قبل أن أرحل عن هنا .

ـ ما رأيك فيها ؟

ـ إنها تبدو لطيفة .. وأظن أنها أصبحت أكثر تعقلاً عما كانت عليه من قبل .

ـ لقد كنت أظن أننى سأرعاها بعد وفاة والدتها .. لكن يبدو أن العكس قد أصبح هو الصحيح .. فهى ترعانى دائمًا كما لو كنت أمها .. ولا يمر أسبوع دون أن تأتى لزيارتى .. وقد كانت تسألنى دائمًا عنك .

ـ و( سماح ) .. ألا تأتى لزيارتك والسؤال عنك هى الأخرى ؟

ـ إنها لاتودنى كثيرًا كما تفعل ( هالة ) .. وأصبحت زيارتها لنا نادرة .

ـ ربما لأن ظروف عملها تمنعها من ذلك .. فقد علمت أنها أصبحت تعمل فى إحدى الشركات التجارية .

ـ ربما .. ولو أن المسافة بين منزلنا ومنزلهم ليست بعيدة بالقدر الذى يمنعها من زيارتى ، والاطمئنان على صحتى خاصة بعد الأزمة الأخيرة التى تعرضت لها .

لقد كانت أختها تتردد علىّ يوميًّا للسؤال والاطمئنان على حالتى .. إننى أحب هذه الفتاة كثيرًا يا ( أحمد ) ، وأشعر كما لو كانت ابنتى حقًّا .

ابتسم ( أحمد ) وهو يضع يده على وجنتها قائلاً :

ـ من الواضح أنها هى الأخرى تبادلك نفس الشعور .



وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

ـ ألا ترين أنه يتعين علىّ أن أزورهم ، وأن أشكرها على رعايتها لك ، فى أثناء غيابى ؟

ابتسمت الأم وقد فرحت لسماع ذلك قائلة :

ـ إنها تستحق ذلك .. وما هو أكثر .

* * *



# ١٠ ـ شجرة البرتقال ..

غادر (أحمد) حجرته متجهًا إلى الطابق السفلى ، حيث اتجه إلى باب المنزل ليفتحه حينما نادت أمه قائلة :

ـ (أحمد) .. إلى أين تذهب ؟

استدار ( أحمد ) ليرى أمه فى أحد أركان الردهة ، وبجوارها ( هالة ) ، بينما أردفت الأم قائلة :

ـ ألا تأتى لتحية صديقتك القديمة أولاً قبل أن تغادر المنزل ؟

صافحها ( أحمد ) قائلاً :

ـ أهلاً .. ( هالة ) .

قالت له بدلال :

ـ أنا (زعلانة) منك .

قال ( أحمد ) بدهشة :

ـ لماذا ؟



ـ لقد توقعت أن تأتى لزيارتنا كما وعدتنى .

ـ لكن .. هذا هو ماكنت أنوى أن أفعله الآن .

ـ أتريد أن تقنعنى بذلك ؟

ـ هذه هى الحقيقة .

تدخلت الأم فى الحديث قائلة :

ـ لقد أخبرنى بالأمس أنه ينوى زيارتكم بالفعل .

ـ إذن .. هيا بنا .

ـ ولكن .. هل والدك هناك ؟

ـ نعم .. وهو يريد أن يراك .

قال لها وقد أحسَّ ببعض الارتباك :

ـ و( سماح ) ؟

هزت رأسها قائلة :

ـ و(سماح ) .. هيا معى ، إنهما متشوقان لرؤيتك .

ـ هل علمت ( سماح ) أننى عدت إلى المنزل ؟

ـ بالطبع .

ـ إذن .. لماذا لم تأت معك .. إذا كانت ترغب حقًا فى رؤيتى ؟

ـ لم تتح لها الفرصة لمعرفة ذلك إلا منذ يومين فقط .. وعلى أية حال يمكنك أن تعاتبها حينما تراها .. ولو أن الواجب كان يقتضى أن تأتى أنت أولاً لزيارتنا .

أحس ( أحمد ) باضطراب شديد وهو يجتاز البوابة الأمامية للفيلا .. فقد انقضى وقت طويل منذ أن جاء إلى هنا .

وأخذ يتأمل المكان حوله فى فضول ، وهو يتذكر الأيام التى كان يأتى فيها ، والساعات التى كان يقضيها فى اللعب هو وأخوه مع (سماح ) و( هالة ) فى طفولتهم .

ثم الساعات التى كان يجلس فيها بصحبة (سماح ) فقط ، وهو يحاول الانفراد بها عندما أصبح فتى يافعًا .. وخجله الذى كان يمنعه من التصريح لها بمشاعره نحوها .

لقد حدثت بعض التعديلات على الفيلا .. لكن معالمها الرئيسية لم تتغير كثيرًا عما عهدها عليه .



ابتسمت ( هالة ) وهى تنظر إليه قائلة :

ـ أما زلت تذكر المكان هنا ؟ أم أنه أصبح غريبًا عليك ؟

قال لها وهو مستمر فى تأمله للمكان :

ـ أظن أننى بحاجة لبعض الوقت لكى آلفه من جديد .

أشارت إلى إحدى الأشجار فى الحديقة قائلة :

ـ لا تقل لى إنك قد نسيت هذه الشجرة !

سار بصحبتها نحو الشجرة ليتطلع إليها وقد عاوده حنين قوى إلى ماضيه ، ثم مالبث أن مد يده ليلتقط إحدى ثمار البرتقال التى تدلت منها قائلاً :

ـ وكيف يتسنى لى أن انساها ؟

ضحكت ( هالة ) قائلة :

ـ الآن تستطيع أن تمد يدك لتأخذ البرتقال بنفسك ، بدلاً من استخدام الحجارة فى إسقاط الثمار والاستيلاء عليها !

ضحك بدوره قائلاً :

ـ لا تنسىْ أنك كنت تحرضيننى على ذلك .

ـ نعم .. فقد كانت هذه الشجرة أمامى دائمًا ، ولم أكن أجد متعة كبيرة فى أن يحضروا لى من ثمارها .

لكن لا أدرى لماذا كنت أشعر بهذه المتعة وأنا أشاركك سرقة الثمار .. برغم أننى لم أكن بحاجة لهذه السرقة .. فالشجرة ملكنا .

قال ( أحمد ) مازحًا :

ـ ربما لأنك لصة بطبيعتك .

لكنه استدرك قائلاً وقد أحس بأنه ربما يكون قد تجاوز الحد :

ـ آسف .. إذا كنت قد تجاوزت الحد .

اقتربت منه وقد أحست بأن مشاعرها القديمة نحوه ما زالت كما هى لم يطرأ عليها أى تغيير ، وإن اتخذت شكلاً مختلفًا عن مشاعر الطفولة .

وابتسمت ابتسامة تعبر عن ارتباكها لهذا الإحساس الذى لم تعهده فى نفسها منذ سنوات بعيدة قائلة :



ـ هل نسيت أننا أصدقاء قدامى ؟ أم أنك تريد أن نتعامل معًا بشكل رسمى ؟

ـ كنت أخشى أن تكون الأمور قد اختلفت بالنسبة لنا .. خاصة أننا لم نعد أطفالاً كما كنا من قبل .

هزّت رأسها قائلة فى مرح :

ـ بالطبع .. يوجد بعض الاختلاف الآن .. فأنا مثلاً لم أعد مستعدة لأن تحملنى فوق كتفيك ، لكى ألتقط لك ثمار البرتقال كما كنت أفعل من قبل .

ضحك ( أحمد ) قائلاً :

ـ وأنا أيضًا لم أعد مستعدًا لتلطيخ ملابسى بحبات الطماطم التى كنت تقذفيننى بها كما كنت تفعلين من قبل .

انطلقت ضحكاتهما .. وهما يستعيدان تلك الذكريات .. فقد سقطت الحواجز سريعًا بينهما ، وأحس ( أحمد ) بأن كل تلك السنوات التى ابتعد خلالها عن الفتاة ، وعن المكان قد أخذت تتلاشى تدريجيًا .. وأنه يشعر نحوها بالألفة والصداقة التى كان يفتقدها .

وفجأة توقف عن الضحك وهو ينظر إلى تلك الفتاة

التى كانت تقترب منهما ، وقد جذبها صوت ضحكاتهما وهى تتطلع إليه بفضول .

وتوقفت أمامه وهى تشير إليه بإصبعها قائلة :

ـ لا بد أنك ( أحمد ) !

تسمر ( أحمد ) فى مكانه وهو يحدق فى الفتاة الواقفة أمامه .

هذه المرة لم يكن بحاجة لأن ينشط ذاكرته ، وأن يدقق النظر فى وجهها لكى يعرف أن هذه الفتاة هى ( سماح ) .. شىء واحد استلفت انتباهه .

فقد ازدادت الفتاة جمالاً عما كانت عليه من قبل .. برغم أنه عهدها جميلة دائمًا .

لقد نضجت وأصبحت كاملة الأنوثة .. كما ازدادت فتنة على نحو يخلب العقول ويخطف الأبصار .

لقد أصبحت حقًّا أجمل من الصورة التى ظلت تعيش فى خياله .. حاول أن يسيطر على مشاعره التى ارتبكت للحظة حينما رآها قائلاً لها :

ـ نعم .. أنا هو .. ولابد أنك ( سماح ) .



ابتسمت ( هالة ) قائلة :

ـ لقد تعرف كل منكما الآخر سريعًا ..

ووضعت يدها فى خصرها وهى تستطرد قائلة له :

ـ بينما احتاج الأمر أن أعرفك بنفسى حينما التقينا من جديد .

ابتسم ( أحمد ) قائلاً وهو ينقل بصره بينها وبين أختها :

ـ هذا لأنك كنت أصغر سنًّا حينما رحلت عن هنا .. فقد كنت فى الثالثة عشرة من عمرك .. وهذا هو السن الذى يفصل ما بين الطفولة والأنوثة الحقيقية بالنسبة للفتاة .

أما أنا و( سماح ) فقد كنا متماثلين فى العمر .

قالت ( سماح ) سريعًا :

ـ بل كنت أصغرك بعام واحد .

هزّ رأسه موافقًا وهو يقول :

ـ حقًّا .. لقد كنت تصغريننى بعام بالفعل .

تأملته ( سماح ) قائلة :

ـ لكنك ازددت طولاً .. ولم تعد نحـيلاً علـى النحـو الذى كنت عليه من قبل .

ابتسم قائلاً :

ـ هذا أمر طبيعى .. أنت أيضًا ازددت جمالاً .

ابتسمت وهى تحدجة بنظرات جريئة أربكته .. قائلة :

ـ وأنت أصبحت شابًا وسيمًا .

اختلسـت ( هالـة ) النظـر إليهمـا وقـد اعتراهـا إحساس مباغت بالغيرة لم تستطع أن تجد له تفسيرًا .

وقـالت لهمـا وهـى تحـاول أن ترسـم علـى شـفتيها ابتسامة باهتة :

ـ هل تنويان أن تبدآ لقاءكما الأول بعد غيـاب هذه السنين بكلمات الغزل ؟

قالت ( سماح ) محتجة :

ـ ( هالة ) .. ما هذا الذى تقولينه ؟

بينما ضحك ( أحمد ) قائلاً :



ـ إنها تمزح بالطبع .. وعلى أية حال أظن أن بيننا معرفة سابقة تسمح لكل منا أن يبدى إعجابه بـالآخر .. وأن يصارحـه بمـا أضفتـه السنون علـى ملامحـه مـن اختلاف .

قالت له ( هالة ) مداعبة :

ـ وهل تظن أن السنين التى غبتها قـد أضفت عليك وسامة حقيقية بالفعل ؟

ابتسم قائلاً :

ـ ما رأيك أنت ؟

قالت له وهى مستمرة فى مداعبتها له :

ـ أظن أنك كنت أكثر وسامة حينما كنت أصغر سنًا .

وقبل أن يرد عليها سمع صوتًا يرحب به قائلاً :

ـ أهلاً بك يا ( أحمد ) .. تفضل يا بنى .

كان والد الفتاتين هو الذى جاء فى هذه اللحظـة .. فأسرع ( أحمد ) نحوه ليمد له يده مصافحًا وهو يقول :

ـ أهلاً بك يا عمى .

قال ( نعمان ) وهو ينظر إلى ابنتيه :

ـ لماذا لم تأت إلى الداخل ؟ وما الذى يدعوك إلى الوقوف هنا عند مدخل الحديقة ؟

قال ( أحمد ) مرتبكًا :

ـ فى الحقيقة .. لقد كنت ...

لكن ( هالة ) تدخلت لإنقاذه من الحرج وهى تقاطعه قائلة :

ـ لقد كان فى طريقه إلى الداخل لمقابلتك .. حينما استرعت انتباهه شجرة البرتقال التى كان يستهويه اللعب حولها والجلوس إليها .

نظر الأب إلى البرتقالة التى قطفها ( أحمد ) ، والتى كانت لاتزال فى يده قائلاً :

ـ أما زلت مصرًا على سرقة ثمارها ؟

ازداد ( أحمد ) حرجًا .. ولم يدر ماذا يفعل بالبرتقالة ؟ أيعطيها للأب أم يعيدها إلى مكانها أسفل الشجرة ؟ أم يظل محتفظًا بها فى يده ؟



بينما ضحك الأب وهو يضع يده على كتفه ليصطحبه إلى الداخل ، وقد لاحظ ارتباكه قائلاً :

ـ إننى امزح معك بالطبع .. يمكنك أن تأخذ ثمار الشجرة كلها لو أردت .

ثم دعاه إلى الجلوس قائلاً :

ـ لقد مضى وقت طويل منذ أن رأيتك يا ( أحمد ) ! لكن ـ ما شاء الله ـ لقد صرت رجلاً .

واستطرد قائلاً :

ـ هل تمارس عملاً ما ؟

ـ الحقيقة .. لقد تخرجت فى كلية الهندسة منذ عامين .. لكننى لم أتسلم عملاً بعد .

عاد الأب ليقول :

ـ ما شاء الله .. إذن أصبحت مهندسًا .

ـ نعم .. وقد تخصصت فى الهندسة الميكانيكية .

ـ ولماذا لا تعمل فى مصنع أبيك ؟ لا بد أنه بحاجة إلى شخص مثلك للإشراف على آلات النسيج الموجودة فى مصنعه .

ـ هذا ما كنت آمله .. لكنك تعرف أن علاقته بى ليست على ما يرام منذ وفاة أخى .

هز الأب رأسه قائلاً :

ـ نعم .. ولكن ألم تتحسن علاقته بك بعد ؟ لقد ظننت أن عودتك تعنى ....

قاطعه ( أحمد ) قائلاً :

ـ عودتى لم تحدث اختلافًا كبيرًا فى مشاعره نحوى .. إنه ما زال يحملنى المسئولية عن وفاة أخى .

نظر الأب إلى ابنتيه اللتين كانتا تحيطان بالمقعد الذى جلس إليه ( أحمد ) قائلاً :

ـ ألا تقدمان شيئًا لضيفنا ؟ أم ستكتفيان بالتحديق فيه هكذا ؟

قالت ( سماح ) بصوت يتدفق نعومة :

ـ إنه يحب عصير الفراولة .. سأحضر له عصير فراولة !

نظر الأب إليها بعينين ثاقبتين قائلاً :

ـ من المدهش أنك ما زلت تذكرين ما يحبه ( أحمد ) .. بعد كل هذه السنين .



ثم تحول إلى ( أحمد ) قائلاً :

ـ إن ( سماح ) لها ذاكرة قوية .. أليس كذلك ؟

ابتسمت ( هالة ) وهى تتناول ثمرة البرتقال من يده قائلة :

ـ وأنا سأقشر لك هذه البرتقالة .

قال ( أحمد ) مرتبكًا :

ـ لا داعى لكل ذلك .

ابتسم الأب قائلاً :

ـ إننا نريد أن نحتفى بك بعد أن غبت عنا كل هذه السنين .. فقد كنت دائمًا بمثابة أخ لهما .

ثم أردف قائلاً وفى صوته نبرة من الحزن :

ـ وكذلك كان أخوك المتوفى .

ارتسمت ملامح الأسى على وجه ( أحمد ) كعادته كلما ذكر أحدهم أمامه أخاه الراحل .

بينما راقب الأب انصراف ابنتيه .. ثم تحول إليه قائلاً :

- هل تحب أن أتدخل لإعادة الوئام بينك وبين أبيك ؟

- لا أظن أنه مستعد لذلك الآن .. وأنا لا أريد أن أعرضك للحرج يا عمى .

- لكن شابًّا مثلك فى مستهل حياته .. لابد أنه بحاجة لمن يمد له يده ويساعده .

- أنا بحاجة إلى مساعدتك بالفعل يا عمى .

قال له الرجل سريعًا :

- مساعدتى أنا ؟ إننى مستعد لتلبية أى طلب يا بنى .

- إننى بحاجة لأن أعمل .. فأنا لا أستطيع أن أبقى بلا عمل هكذا .. ولكنى أريد عملاً يتفق مع تخصصى .. على أن يكون ذلك العمل داخل مدينة المنصورة .

فأنا لا أستطيع الابتعاد عن أمى بعد الآن .. خاصة بعد أن أصبحت سيدة مريضة .

لذا فقد كنت آمل لو ساعدتنى فى الالتحاق بأحد المصانع أو الشركات التى تعرف أصحابها أو المسئولين عن إدارتها ، بما لك من علاقات واتصالات قوية هنا .



قال له الرجل وهو يرمقه بنظرة احترام :

- ولكن أيكون أبوك صاحب مصنع نسيج كبير .. وتبحث عن عمل لدى الآخرين ؟

- هذا ما أصبحت تقتضيه الظروف .

- على أية حال .. دع لى هذا الأمر وبإذن اللّه سأجد لك الوظيفة المناسبة .

شد ( أحمد ) على يده ممتنًّا وهو يقول :

- أشكرك يا عمى .. سأكون ممتنًا لو ساعدتنى فى تحقيق ذلك .

* * *



## ١١ـ دمعة فى عينيه ..

مر أسبوع منذ أن ذهب ( أحمد ) إلى المنزل الذى تقيم فيه ( هالة ) و( سماح ) وقد عادت الصلة بينهم لتتوطد مرة أخرى .. وإن اتخذت شكلاً مختلفاً عن صداقة الطفولة والصبا القديمة .. لكنها استمرت حميمة كما كانت فيما مضى .. فى البداية كان يبدى بعض التحفظ فى علاقته بهما .. فهو لم يعد ذلك الصبى الصغير ، كما أنهما الآن فتاتان ناضجتان وقد تجاوزتا مرحلة الطفولة . لذا كان لابد من وجود بعض التحفظات التى جعلته يتردد فى توثيق علاقته بهما عما كانت عليه من قبل .

فلم يحاول أن يكرر الزيارة .. أو يفرض صداقته عليهما على النحو الذى كانت عليه من قبل .

لكن ( هالة ) أذابت تلك الحواجز الوهمية التى أراد أن يضعها بينه وبينهما بتلقائيتها وبساطتها الشديدة ..

وعمدت بترددها على المنزل لزيارته وزيارة والدته ..



وصحبتها له إلى توطيد الصلة بينهما ، وعودة الصداقة القديمة فى شكلها الجديد .

وبرغم أنه التقى مرتين بـ ( سماح ) خلال هذا الأسبوع .. وما لاحظه من ترحيبها واهتمامها به .. إلا أنه ما زال يشعر ببعض الاضطراب فى مشاعره كلما التقى بها ، ويعد نفسه إعدادًا خاصًا لهذا اللقاء .

بعكس ( هالة ) التى يكون معها على طبيعته دون حاجة إلى اهتمام زائد بمظهره ، أو حرص زائد على انتقاء الكلمات .

ربما لأنه ينظر إلى ( هالة ) على أنها تلك الصديقة الصغيرة ، أو الأخت العزيزة .. أما بالنسبة لـ ( سماح ) فما زالت جوانحه تنطوى على تلك العاطفة القديمة التى نمت مع نموه ، وانتقاله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الصبا .. ويبدو أنها ما زالت كامنة بداخله بعد أن انتقل إلى مرحلة الشباب .

وبرغم الاهتمام الملحوظ الذى أبدته ( سماح ) نحوه فى المرتين اللتين التقى بها خلالهما ، إلا أنه كان يحس أنه اهتمام به قدر من التصنع .. وأنها

لا تتمتع بنفس التلقائية والبساطة اللتين تتمتع بهما أختها .

* * *

غادرت ( هالة ) كليتها وهي تسير بصحبة صديقاتها ، حينما لمحت ( أحمد ) واقفًا على الرصيف الآخر وهو ينظر في اتجاهها .

نظرت إليه باستغراب في حين لاحظته زميلاتها ، وهو يبتسم ملوحًا لها وقد ابتسمت بدورها ملوحة له .

فسألتها إحداهن قائلة :

ـ هل تعرفين ذلك الشاب الوسيم ؟

قالت ( هالة ) وقد أحست ببعض الارتباك :

ـ إنه جارنا .

علقت زميلة أخرى بخبث قائلة :

ـ أتمنى أن يكون لي جار كهذا .

قالت ( هالة ) وهي تنظر إليها مستنكرة :

ـ لا داعي لهذه الأفكار الخبيثة .. إنه مجرد صديق .. والده أيضًا صديق لوالدي .



قالت إحداهن وهي تحرك ذراعيها بطريقة تمثيلية :

ـ حسن .. ما رأيك لو عرفتنا بهذا الصديق الجذاب ؟

قالت لهما وهي تستأذن منهن للذهاب إليه :

ـ سأفعل ذلك في المرة القادمة .

وانتقلت إليه على الرصيف الآخر وهي تسأله قائلة :

ـ ( أحمد ) .. ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

ابتسم ( أحمد ) وهو يصافحها قائلاً :

ـ لم أجد شيئًا لأفعله .. ففكرت أن آتي إلى هنا لزيارتك في الكلية .

هزّت كتفيها وهي تحتضن كشاكيلها قائلة :

ـ في الحقيقة لم أتوقع أن تفعل ذلك .

نظر إليها قائلاً :

ـ هل ضايقك تصرفي هذا ؟

قالت وهي تسير إلى جواره :

ـ أبدًا .. ولكن زميلاتي ظنوا ....

نظر إليها وقد لاحظ لأول مرة أنها يبدو عليها الحرج وهى تتحدث إليه .. فقال :

ـ ظننوا ماذا ؟

قالت وهى تحاول التغلب على حرجها :

ـ أننا .. أن .. أن بيننا صلة عاطفية .

ابتسم وهو يتأملها وقد أعجبه تورد وجنتيها وهى تتحدث إليه ، قائلاً :

ـ ولكن هذا صحيح .. فبيننا صلة عاطفية بالفعل .

نظرت إليه باستغراب وقد أربكها ما قاله .

بينما استطرد قائلاً :

ـ إن الصداقة هى نوع من العاطفة .. ونحن أصدقاء أليس كذلك ؟

هزّت رأسها وقد بدا أن ما قاله جاء مخيبًا لآمالها .. وقالت :

ـ بالطبع .

ثم حاولت أن تغير الحديث قائلة :



ـ هل أعجبتك كليتى ؟

إننى لم أدخلها .. لكننى لم أتصور أنها ستكون مكتظة بالطلاب على هذا النحو .

قالت ضاحكة :

ـ إنها الزيادة السكانية .

ـ ولكن .. أين سيارتك ؟

ـ إننى أفضل السير على قدمى فى الذهاب والعودة .. فالجامعة ليست بعيدة كما ترى .

ـ هذا أفضل .. ولكن إلى أين ستذهبين الآن ؟

ـ إلى المنزل .

سألها قائلاً :

ـ هل تتعجلين الذهاب إلى المنزل ؟

نظرت إليه باستغراب قائلة :

ـ لماذا تسألنى ذلك السؤال ؟

ـ أشعر بأننى بحاجة للتحدث معك بعض الوقت .

ـ وما الذى يمنعك من ذلك ؟ قل ما تريده ونحن فى طريقنا إلى المنزل .

ـ أفضل أن نجلس فى مكان هادئ لنتحدث معًا .. فأنا بحاجة لتغيير تلك الأماكن التى اعتدت الذهاب إليها .

حاولت أن تعتذر ، وقد بدا عليها شىء من التردد قائلة :

ـ ولكن .....

لكنه قاطعها ليحول بينها وبين الاعتذار قائلاً :

ـ ليتك لاتمانعين .. فأنا لا أعرف أحدًا هنا سوى أنت وأختك .. وأنا بحاجة لإحداكما لأتحدث إليه .

ـ لكننا نلتقى تقريبًا بصورة شبه يومية .. وقد جرت بيننا أحاديث مختلفة .

ـ حديثى معك اليوم سيكون مختلفًا .. وأفضل أن يكون بعيدًا عن منزلنا أو منزلكم .

رضخت ( هالة ) لرغبته قائلة :

ـ حسن .. ما دامت هذه هى رغبتك .



جلست ( هالة ) قبالته فى الكازينو الذى اصطحبها إليه ، وهى تنتظر أن تسمع منه ، وقد لاحظت علامات الحيرة والتفكير على وجهه .

وما لبث أن تحدث إليها قائلاً :

ـ ( هالة ) .. أنت تعرفين مدى إعزازى لك وثقتى الكبيرة بك .

ـ هذا هو نفس شعورى نحوك يا ( أحمد ) .. ولابد أنك تعرف ذلك أيضًا .

ـ نعم .. لذا فأنا أريد أن أعتمد عليك فى الاهتمام بأمى ورعايتها فى أثناء غيابى .

اضطربت ( هالة ) لدى سماعها ذلك قائلة :

ـ غيابك ؟ هل تنوى الرحيل عن المنزل مرة أخرى ؟

ـ نعم .

قالت وقد ازدادت اضطرابًا :

ـ لكنك لم تعد إلا لفترة قصيرة .

أطرق برأسه قائلاً :

- إننى مضطر لذلك .

- كيف ؟ هل حدثت .. مشاكل أخرى بينك وبين والدك ؟

- سيتفجر الموقف بيننا آجلاً أم عاجلاً .. فلم يحدث أى اختلاف فى مشاعره نحوى منذ أن عدت إلى المنزل .

لكن ليست هذه هى المشكلة .. فقد كان من الممكن أن أتحمل ذلك . وأعد نفسى له .

المشكلة الحقيقية هى أننى لا أستطيع أن أبقى بلا عمل .. ومعتمدًا على الإعانة التى يقدمها لى كل شهر .. كنت قد أرسلت إلى إحدى الجهات التى تطلب مهندسين متخصصين للعمل لديها فى إحدى الدول العربية ..

وبالأمس فقط اتصل بى خالى ليخبرنى أنهم أرسلوا لى الرد بالموافقة .. وطلبوا أن أعد أوراقى وأسافر إليهم خلال أسبوعين .

قالت ( هالة ) وفى صوتها نبرة حزن واضحة :



- ولكن ذلك سيكون قاسيًا على والدتك .. فقد كانت تترقب عودتك بفارغ الصبر .. ومن الواضح أن صحتها قد تحسنت كثيرًا بعد رجوعك إلى المنزل .

- سيكون ذلك قاسيًا علىّ أيضًا .. فلا تظنى أننى سعيد بالسفر أو بالراتب المغرى الذى سأحصل عليه من عملى فى تلك الدولة .. لكنى بحاجة لأن أعمل وأن أبنى مستقبلى .

قالت ( هالة ) وكأنها ترجوه أن يبقى :

- لكنك وعدتها أن تبقى .

- كنت أظن أننى أستطيع أن أغير أشياء كثيرة ، وأن أحصل على ما أتمناه ، أن تتحسن علاقتى بأبى .. وأن يمنحنى الفرصة للعمل فى مصنعه .. لكن شيئًا من ذلك لم يحدث .

- ألم يعدك أبى بأن يدبر لك وظيفة مناسبة هنا ؟

- لا أظن أنه قد نجح فى ذلك .. ولا أريد أن أثقل عليه ، أيضًا فأنا لا أحب أن أبقى ضيفًا ثقيلاً فى منزل أبى .

ـ لاتقل هذا .. فمنزل أبيك هو منزلك .

ابتسم فى مرارة وهو ينظر إليها قائلاً :

ـ هذا ما تقوله أمى .. لكنه بعيد عن الحقيقة .

ـ هل جئت بى إلى هنا لتخبرنى بذلك فقط ؟ أم أنـك تريد رأيى بهذا الشأن ؟

ـ إننى أعرف ما ستقولينه .. لو كـان الأمـر بيدى ما فارقت أمى .. لكنى أخشى أن ينفجر الموقف بينـى وبين أبى يومًا مع هـذا الموقف العدائـى الـذى يتخذه منى فيزيد ذلك من تعقيـد الأمـور ويـؤدى إلـى تدهـور حالتها .

نظرت ( هالة ) إليه قائلة :

ـ هل يمكننى أن أسألك سؤالاً صريحًا ؟

ـ بالطبع .. يا ( هالة ) .

ـ هل تحب أباك ؟

نظر إليها بدهشة للحظة .. وقد بـدا أن السـؤال قـد فاجأه .. أو أنه لم يفكر فى أن يطرحه على نفسه مـن قبل ، وما لبث أن قال لـها بعد برهة من الصمت :



ـ لم أعد أدرى ما إذا كنت أحبـه أم أكـرهه ، إنه لم يمنحنى الفرصة لكـى أتبين حقيقـة شـعورى نحـوه .. فقد كان يعاملنى دائمًا بطريقـة تختلـف عن معاملتـه لأخى .

كان قاسيًا معى بطريقة غير مبررة .. وكنـت دائمًا أتساءل عن السر فى اختلاف أسلوبه فى التعامل معى عن الطريقة التى يتعامل بها مع أخى ، ولمـاذا يحظـى أخى بالاهتمام والتدليل فى حين يختصنـى أنـا بالشدة وتحميلى بأعباء لا تتناسب مع صبى صغير ؟

ـ هل يعنى هذا أن معاملته لك لم تختلف بعد حـادث الغرق الذى تعرض له أخوك ؟

ـ إن الاختلاف الوحيـد هـو أنهـا قـد ازدادت سـوءًا وأدت إلـى المزيـد مـن التبـاعد بيننـا .. لكـن سـوء المعاملة كان موجودًا دائمًا .

ـ إننى لا أجد سببًا مقنعًا لهذه الكراهيـة .. وكنت أتساءل عما إذا كانت هناك وسيلة ما لإصـلاح الأمـور بينكما .

ـ لقد تمنيت أن يحدث هذا .. لكن يبدو أنه أصبح أمرًا بعيد المنال ..

وترقرقت عبرة فى عينيه سرعان ما انسابت فوق وجنته وهو يقول :

ـ لقد كان أقسى ما نلت منه هو اتهامه لى بأننى قتلت أخى .. كان اتهامًا فظيعًا .. ولا أدرى كيف وصل به الظلم أن يتهمنى اتهامًا كهذا .

أحست ( هالة ) بتعاطف شديد معه .. وبلغ بها التأثر أن انحدرت عبرة من عينيها هى الأخرى حينما رأته يبكى .

ومدت يدها لتمسح العبرة التى انسابت فوق وجنته قائلة بصوت يتدفق حنانًا :

ـ ( أحمد ) .. أرجوك لا تبكِ .

* * *





## ١٢ـ لا ترحل ..

عاد إلى المنزل فى ساعة متأخرة .. لم يكن قد أخبر أمه بعد بأمر السفر .. وكان ما زال منشغلاً بالطريقة التى يخبرها بها بذلك .

سألته أمه قائلة :

ـ أين كنت كل هذا الوقت يا بنى ؟

ـ كنت أجول قليلاً .

ـ حتى هذه الساعة المتأخرة ؟

ـ لقد سئمت البقاء فى المنزل يا أمى .

ـ لكنك لم تتناول غداءك حتى الآن .

ـ لقد تناولته بالخارج .

ـ هل قابلت أحدًا ؟

ـ نعم .. لقد التقيت بـ ( هالة ) .

ابتسمت الأم وقد ظهرت علامات الرضا على وجهها وهى تقول :

ـ حقًا ؟ وهل تناولت الغداء معك ؟

ـ كلا .. لقد تحدثنا معًا لمدة ساعة فقط بعدها عادت إلى منزلها .

ولُخشى أن تكون قد تأخرت بسببى ويترتب على ذلك أية مشاكل بالنسبة لها ..

ـ اطمئن .. لا أظن أن أباها سيغضب عندما يعلم أنها كانت معك .. فقد تربيتما معًا .. وهو يعرف أخلاقك جيدًا ويعرف أنك ستكون حريصًا على ابنته حرصه هو عليها .

ـ على أية حال .. لقد وعدتنى أن تأتى لزيارتنا غدًا .. وسأعرف منها ما إذا كانت قد تعرضت للمشاكل بسببى أم لا .. خاصة وقد أحسست فى زيارتى الأخيرة أن أباها غير مرتاح لتلك الصلة الحميمة التى عادت لتتوطد بينى وبين ابنتيه .. وأنه يريد أن يلمح لى بأنه يتعين علىّ ألا أنسى أننا لم نعد أطفالاً كما كنا من قبل .. وأنه ينبغى أن تكون هناك حدود للتقارب بيننا .



وأردف قائلاً وهو يستعد لصعود السلم المؤدى إلى الطابق العلوى حيث توجد حجرته :

ـ وبينى وبينك معه حق .

ـ لو كان ما تقوله صحيحًا ما سمح لابنته بزيارتنا .. أنت الذى أصبحت حساسًا بأكثر مما يجب .

قال لها وقد تذكر أنه سيغادر المنصورة خلال الأيام القادمة استعدادًا للسفر :

ـ على أية حال .. حتى لو كان قلقًا بهذا الشأن .. فلن يكون هناك سبب لقلقه فيما بعد .

سألته أمه قائلة :

ـ ماذا تعنى بذلك ؟

هم بأن يخبرها بالأمر .. لكنه تراجع عن ذلك وقد أشفق عليها مما يمكن أن يسببه لها ذلك من ألم .. وقرر أن يؤجل إطلاعها على قراره بالسفر لما بعد .

لكنها استوقفته قائلة :

ـ ما رأيك لو وطدنا صلتنا بالأستاذ ( نعمان ) بشكل أقوى ؟

نظر إليها ( أحمد ) باستغراب قائلاً :

ـ ماذا تعنين بذلك ؟

ـ تتزوج ابنته ! خاصة وأنا أشعر أن كليكما يميل للآخر .

ابتسم ( أحمد ) قائلاً :

ـ هل تقصدين ( سماح ) ؟

قالت له سريعًا :

ـ بل أقصد ( هالة ) .

نظر إليها بدهشة وقد بدا أن هذه الفكرة لم تطرأ على تفكيره من قبل وردد :

ـ ( هالة ) !

ـ نعم .. إننى لن أجد لك من هى أفضل منها .

ـ لكنك كنت تعدينني بالزواج من ( سماح ) دائمًا ، كما أنها هى الابنة الكبرى .

ـ لقد كان ذلك على سبيل المداعبة وأنتما طفلان ..



أما الآن فإننى أرى أن ( هالة ) أفضل بكثير من أختها .. وفيها كل الصفات التى تتمناها أى أم لابنها .

أما مسألة الابنة الكبرى أو الصغرى هذه .. فلا تشغل تفكيرك بها ، فلم يعد أحد يفكر بتلك الطريقة الآن .

ـ وما الذى لا يعجبك فى ( سماح ) ؟

ـ وما الذى لا يعجبك أنت فى ( هالة ) ؟

ـ إننى لا أقول إنها لا تعجبنى .. لكنى لم أفكر فيها مطلقًا على هذا النحو ، لقد كنت أنظر إليها دائمًا على أنها أخت صغيرة لى أو صديقة .

ـ إذن عليك أن تغير طريقة تفكيرك وأن تنظر إليها بطريقة مختلفة خاصة أننى أشعر بأنها تميل إليك .. وأجد أن هناك تقاربًا كبيرًا بينكما فى الأفكار والمشاعر .

ابتسم ( أحمد ) قائلاً :

ـ وكيف عرفت بكل ذلك ؟

ـ إننى أم وامرأة أيضًا .. وقد تقدم بى العمر بالقدر الذى يسمح لى بأن أرى الأشياء على حقيقتها .. وأنا أرى أن ( هالة ) هى الأصلح لك .

ـ لكنك لم تجيبى عن سؤالى بعد .. ما الذى تعيبينه على (سماح) بما يجعلك تفضلين ( هالة ) عليها ؟

ـ هل يهمك ذلك كثيرًا ؟

قال لها باهتمام :

ـ نعم .. وأحب أن أسمعه منك .

ـ ( سماح ) فتاة أنانية ومتحررة بطريقة أكثر من اللازم .. كما أننى واثقة أنها لا تحبك بالقدر الذى تحبك به ( هالة ) .

أوعز ( أحمد ) ذلك إلى ميل أمه الشخصى لـ ( هالة ) .. وتأثرها باهتمامها ورعايتها لها فى أثناء مرضها .. بأكثر مما فعلته (سماح) بالنسبة لها .

ـ على أية حال .. إننى لا أفكر فى الزواج الآن .. إذ يتعين على أن أجد عملاً أولاً .

ـ لقد كلمت أباك بهذا الشأن .. وطلبت منه أن تعمل معه فى المصنع .

ـ بالطَبع لم يوافق .



ـ إننى واثقة أنه سيوافق فى النهاية .. فقط هو بحاجة لبعض الوقت .. تمامًا كما حدث بالنسبة لعودتك إلى المنزل .

قال ( أحمد ) بلا مبالاة :

ـ لا داعى للإلحاح عليه فى هذا الشأن .. فأنا أستطيع تدبير أمرى .

وهم بالصعود إلى حجرته .. لكنه توقف وهو يضع قدمه على الدرجة الرابعة من السلم لدى سماعه صوت أبيه وهو يصيح مناديًا :

ـ ( أحمد ) !

استدار ليراه واقفًا أسفل السلم وهو ينظر إليه بعينين تقدحان شررًا قائلاً :

ـ هل تحدثت مع الأستاذ ( نعمان ) لكى يتوسط لك فى العمل بمصنعى ؟

ـ ليس هذا صحيحًا .. لقد طلبت منه أن يبحث لى عن عمل لدى أى شخص من معارفه من أصحاب الشركات أو المصانع .

قال له بغلظة :

ـ إذا كنت تظن أنك تستطيع أن تؤثر علىّ بذلك وتضطرنى إلى إلحاقك بالمصنع .. فأنت واهم .

ـ إننى لم أطلب منك مطلقًا أن تلحقنى بالعمل فى مصنعك .

ـ لكنك تظن أنك تستطيع الدخول إليه من الباب الخلفى .. وتحاول أن تستغل وساطة الأشخاص المقربين إلىّ للتأثير علىّ فى هذا الشأن .

تدخلت الأم قائلة :

ـ إننى لا أدرى ما الذى يمنع من إلحاقه بمصنعك ! إنه ابنك على أية حال .. وينتسب إليك مهما حاولت أنت إنكار ذلك .. وذلك المصنع سيئول إليه فى يوم من الأيام .

ـ إذن .. فليرثه بعد موتى .. لكننى لن أسمح له بدخول ذلك المصنع ليضع يده على كل شىء بعد أن تخلص من أخيه .

صاحت الأم قائلة :



ـ إلى متى ستظل هذه الفكرة الجنونية الغريبة مسيطرة عليك ؟ لقد أوضح لنا ( أحمد ) ما حدث عدة مرات لكنك لا تريد أن تصدق أحدًا إلا ذلك الشيطان الذى سيطر على تفكيرك ، وأدخل تلك الفكرة الشنيعة إلى عقلك .

نظر إليها وقد بدا مندهشًا وغاضبًا فى آن واحد وهو يحدّق عليها قائلاً :

ـ كيف تحدثيننى بهذه الطريقة ؟ إنها المرة الأولى التى تجرئين فيها على مخاطبتى بهذا الشكل .

قالت الأم وهى تنتحب :

ـ أنا آسفة .. لو كان الأمر متعلقًا بى لما جرؤت على الحديث إليك بما يغضبك .. لكنك تقسو على ابنك بأكثر مما يجب .

صاح الأب قائلاً :

ـ لقد وافقت على عودته إلى هنا من أجلك .. فلا تطلبى منى أكثر من هذا .

صاح ( أحمد ) قائلاً :

ـ لاداعى لكل هذا الصياح من أجلى .. فلم يعد هناك ما يدعو للاستمرار فى هذا اطمئن يا أبى فلا تخش على مصنعك منى لأننى لا أنوى العمل به .. كما أننى سأريحك من وجودى فى منزلك .. لأننى سأسافر خلال اليومين القادمين للعمل فى إحدى الدول العربية .

ثم هبط درجتين من السلم قائلاً له بلهجة أهدأ :

ـ كل ما أطلبه منك هو أن تعنى بأمى فى غيابى .

واقترب من أمه ليمسك بمرفقيها فى حنان قائلاً :

ـ وأنت يا أمى سأرسل إليك بعنوانى ، وعليك أن تطمئنينى عليك دائمًا .

نظرت إليه الأم غير مصدقة .. ثم ما لبثت أن انخرطت فى بكاء حار .

بينما بدا الأب حائرًا ، وقد أحس بالشفقة والذنب تجاه زوجته ، التى لم يراع حالتها الصحية .. ولم يقدر عواقب هذا الانفعال عليها برغم تحذير الطبيب له .

تعلقت الأم بابنها وهى تردد قائلة :



ـ كلا يا ( أحمد ) .. لا تتركنى .. إننى لن أسمح لك بالرحيل عن هذا المنزل مرة أخرى .. ولو رحلت فسوف أرحل معك .

بينما دخل الأب إلى حجرته وقد أخذ يدور فى أرجائها كالحيوان الحبيس ، وهو يفكر بعمق .

ثم ما لبث أن اتخذ قرارًا وجد أنه مضطر إليه اضطرارًا :

إنه سيلحق ابنه بالعمل لديه فى المصنع .. فلا سبيل أمامه سوى ذلك بعد أن رأى بنفسه مدى حاجة زوجته إلى وجوده .

أو ربما لأنه دون أن يدرى ـ وهذا ما يرفض الاعتراف به حتى لنفسه ـ لا يريده أن يرحل عن المنزل مرة أخرى .

* * *



## ١٣ـ جراح الحب ..

سألت ( هالة ) أختها قائلة :

ـ هل ذهبت إلى ( أحمد ) فى المصنع بالأمس .. واصطحبته معك إلى النادى ؟

قالت ( سماح ) بلا مبالاة :

ـ نعم .

ـ ( سماح ) ما الذى تريدينه من ( أحمد ) ؟

نظرت ( سماح ) إليها بكبرياء قائلة :

ـ ماذا تعنين بذلك ؟

قالت ( هالة ) بإصرار :

ـ أجيبى عن سؤالى !

ـ وما شأنك أنت ؟

ـ إن (أحمد) لايصلح أن يكون وسيلة أخرى للنسيان بالنسبة لك .

نظرت ( سماح ) إليها بسخرية قائلة :



ـ إننى و ( أحمد ) صديقان قديمان .. أم أنك قد نسيتِ ذلك ؟

ـ لكن تصرفاتك الأخيرة معه وطريقتك فى التعامل معه ، وجذب انتباهه إليك تبتعد كثيرًا عن معنى الصداقة .

قالت (سماح) وهى مستمرة فى لهجتها الساخرة :

ـ هل تغارين عليه منى يا أختى العزيزة ؟

ـ إن وقاحتك لن تمنعنى من أن أتصدى لك فى محاولتك لاستغلال مشاعره ، واستخدامه لإثارةَ غيرة من سواه .

ـ هأنتذى قد قلت ( مشاعره نحوى ) .. إنه ما زال يحمل لى مشاعر حب قديمة .. وربما أننى أبادله نفس المشاعر .

ـ قولى ذلك لأحد غيرى .. فأنا أعرف أنك تستغلينه .. وتستغلين مشاعره .

ـ إنك غاضبة لأنه لا يهتم بك قدر اهتمامه بى .

ـ إننى لا أحاول أن أفرض نفسى عليه كما تفعلين أنت .

ـ حقًا .. ولماذا ذهبت معه إذن إلى الكازينو بعد خروجك من الكلية ؟

قالت ( هالة ) وهى تشعر بالغضب :

ـ هل أخبرك بذلك ؟

ـ لا يهم كيف عرفت .. المهم أنك تحرمين علىَّ ما تحللينه لنفسك .. تهاجميننى وتوجهين لى النصح والإرشاد لأننى خرجت مع زميل لى وقضينا بعض الوقت معًا فى الكازينو .. بينما أنت تفعلين نفس الشىء .

ـ لا تحاولى أن تخلطى الأمور .. فالأمر بالنسبة لى مختلف .

لقد وافقت على مصاحبة ( أحمد ) إلى ذلك الكازينو .. لأننا نعرفه جيدًا منذ أن كنا أطفالاً .. كما أنه كان بحاجة لمن يتحدث إليه فى هذه اللحظة .

قالت ( سماح ) بسخرية :



ـ حقًا ؟ وهل وجد فيك ذلك الشخص الذى يصغى إليه ؟ لا تنسى أننا لم نعد أطفالاً .

وخروجك معه وجلوسك بصحبته فى الأماكن العامة المحدودة هنا فيه إساءة إلى سمعتك وسمعة أبيك .

قالت ( هالة ) وهى تحاول أن تسيطر على انفعالها :

ـ على أية حال أنا لم أسهر معه حتى ساعة متأخرة من الليل مثلك .. ولم أقض بصحبته سوى ساعة واحدة فقط .. وقد أطلعت أبى على ذلك دون أن أفعل مثلك .

ـ مادمت تثقين فى ( أحمد ) هكذا فلا توجد مشكلة .. ولن يختلف لقاؤنا به هنا أو فى منزل أبيه عن لقاء أحدنا به فى أى مكان آخر .

ـ لكنى لا أثق بك .. وأنا أتحدث عن استغلال مشاعره وتسخيرها لمصلحتك .

قالت ( سماح ) وهى تتعمد إغاظة أختها :

ـ ما دمت تصرين على توجيه ذلك الاتهام لى .. فأنا مضطرة لأن أخبرك بالحقيقة التى أخفيتها عنك احترامًا لمشاعرك ..

أنا و ( أحمد ) متحابان .. ومن المحتمل أن نتزوج قريبًا .

أخفت ( هالة ) تأثرها بذلك قائلة :

ـ وأنا لا أصدقك .

قالت ( سماح ) ببرود :

ـ أنت حرة .. تصدقين أو لا تصدقين .. على أية حال لقد أخبرتك بالأمر حتى لا تفاجئين بذلك ويكون هذا بمثابة صدمة لك . فأنا أعرف أنك تحبينه .. ولكن مع الأسف إنه لا يحمل لك نفس المشاعر لأن قلبه متجه وجهة أخرى .. وليس بيدى أنني أيضًا أحبه .

ـ لقد تعاطفت معك حينما أخبرتنى من قبل عن حبك لـ ( مجدى ) .. لكن يبدو أنك لا تعرفين شيئًا عن الحب .

* * *

نظر إليها ( أحمد ) قائلاً بانفعال :

ـ ماذا تقولين ؟



قالت ( هالة ) فى هدوء :

ـ أقول إنها لاتحبك .. وإنها تستغل مشاعرك نحوها لإثارة غيرة الشاب الذى تحبه فقط .. ولكى تدفعه إلى الارتباط بها مرة أخرى .

ـ هذا غير حقيقى ! أنت تكذبين !

ـ إننى لم أكذب عليك مطلقًا من قبل .. وأقسم لك إن هذه هى الحقيقة .. إننى لم أرغب فى أن أراك مخدوعًا على هذا النحو .

ـ إننى لا أصدق .. فتاة مثلك كنت أرى أنها تتمتع بصفات وأخلاق رائعة قلما تتوافر فى فتاة أخرى .. تكذب وتسىء إلى أختها هكذا بدافع الحقد والغيرة .

نظرت إليه ( هالة ) غير مصدقة قائلة :

ـ الحقد والغيرة ؟ أنا يا ( أحمد ) .. أنا تظن بى ذلك ؟!

ـ كفاك تظاهرًا .. أنا أعرف أنك تسعين إلى إزاحتها عن طريقى لأنك تحبيننى وتريدين أن تحتلى مكانها فى قلبى .

لم أكن أعتقد أن هذا حقيقى فى البداية .. وكان يمكننى أن أحترم عاطفتك ومشاعرك نحوى لو لم تلجئى إلى هذا الأسلوب الذى لا أرتضيه لك .

صاحت فى وجهه قائلة :

ـ أنت مغرور وأحمق ! لذا فأنت تستحق ما تفعله بك ( سماح ) ، وإذا كان وهمك قد صور لك أننى أحبك فهذه مشكلتك .. لكن ليس من حقك أن تتهمنى بالكذب والحقد والغيرة .

كل ما هنالك أننى أحترمك وأحترم الصلة القديمة التى تربط بيننا .. لهذا لم أرد أن أراك مخدوعًا ، وأن أرى مشاعرك تستغل .. وعلى أية حال أنا مخطئة وأعتذر عما قلته لك .

ثم تركته وانصرفت وهى تحاول أن تخفى عنه تلك العبرات التى انسابت فوق وجنتيها .

بينما وقف ( أحمد ) يفكر فيما قالته ، ويستعيد بعض المواقف والتصرفات التى جرت بينه وبين ( سماح ) فى الآونة الأخيرة .. وإفراطها فى إظهار مشاعرها



بشكل غير مألوف فى بعض الأحيان .. خاصة عندما يكونان معًا فى النادى .

ثم إحساسه ببرودة مشاعره أحيانًا أخرى .

وتساءل فى حيرة وقلق قائلاً لنفسه :

ـ تُرى .. أيكون ما قالته ( هالة ) حقيقيًا ؟ وهل هذه المشاعر القوية التى أظهرتها له ( سماح ) هى مجرد مشاعر مزيفة وغير حقيقية .. وأنها تستغله لإثارة انتباه واهتمام شخص آخر فقط ؟

★ ★ ★

مرت أربعة أيام منذ أن تحدثت ( هالة ) إلى ( أحمد ) فى هذا الشأن ، رأته يعترض طريقها فى أثناء ذهابها إلى المنزل .. فتجاهلته وحاولت أن تتخذ لنفسها طريقًا آخر .

لكنه لحق بها قائلاً :

ـ ( هالة ) أرجوكِ لا تهربى منى لقد جئت لأعتذر لك .

قالت وهى تشيح بوجهها عنه :

ـ لا يهمنى اعتذارك .

ـ أما أنا فيهمنى ذلك كثيرًا .. لقد أخطأت فى حقك .. وأسأت إليك على نحو يجعلنى غير قادر على أن أسامح نفسى .

توقفت عن متابعة السير وقد ظلت صامتة وهى تشيح بوجهها عنه . بينما استطرد قائلاً :

ـ لقد تبين لى أن كل ما قلته كان حقيقيًا .. وأننى كنت ساذجًا ومخدوعًا إلى أقصى حد .

لكن يبدو أن حماقتى وغرورى كما قلت منعانى من أن أرى الأشياء على حقيقتها منذ البداية .

لقد عادت ( سماح ) إلى حبها القديم .. وانتهى دورى بالنسبة لها .

وعلى أية حال إنها ليست هى الملومة .. بل اللوم يقع علىّ أولاً .. فقد تركت نفسى أنساق وراء مشاعر مراهقة قديمة كنت أظن أننى أستطيع أن أجددها وأبعثها فى حياتى مرة أخرى ، دون أن أدرك أن المشاعر مثلها مثل أشياء أخرى كثيرة .. ومثل الأشخاص معرضة للتغير والتبدل مع الزمن .



نظرت ( هالة ) إليه بطرف عينيها .. وهى تحرص على ألاتلتقى عيناها بعينيه فتفضح ماتخفيه فى نفسها .

لقد تمنت أن تقول له فى هذه اللحظة إن الزمن لم يغير شيئًا من مشاعرها نحوه .. وإنها أحبته طفلاً وصبيًا كما أحبته رجلاً .. وكما عاش فى خيالها فتى أحلامها .

لكن .. ماذا يجدى ذلك إذا كانت هى بعيدة عن مشاعره وقلبه .. ولا يرى فيها سوى صديقة يلجأ إليها أحيانًا للحديث عن متاعبه وهمومه !

ماذا تفعل إذا كان قد فضل أختها عليها وانساق وراء عاطفة وهمية ؟

ثم جاء اليوم ليخبرها بأنه عرف أخيرًا أنه كان مخدوعًا .. وأنه جاء ليعتذر عن تكنيبه لها وإساءته إليها .

وماذا يجديها الاعتذار الآن ؟ وهل يكفى مجرد الاعتذار لمداواة جراح قلبها ونفسها ؟

قالت له بصوت خافت :

ـ وماذا تريد منى الآن ؟ هل تريد أن أتدخل لإصلاح الأمور بينكما وإقناعها بأن تعود إليك ؟

ـ أريد منك أن تقبلى أسفى واعتذارى أولاً .. أما ما بينى وبين ( سماح ) فقد انتهى تمامًا .. ولم أعد آسفًا على ما حدث ، لأنى أظن أن هذا أفضل بالنسبة لى .. وأنه جاء فى الوقت المناسب تمامًا .

ـ كيف ؟

ـ الآن أستطيع أن أرى الأشياء بوضوح أكثر .. وأن أتبين النفيس من الردىء .. لقد صدقت أمى .. أنت الأقرب بالنسبة لى يا ( هالة ) .. ولا أدرى كيف لم يمكننى أن أتبين ذلك منذ البداية ؟!

قالت له بكبرياء :

ـ أشكرك على هذا التقدير يا أستاذ ( أحمد ) .. وعلى أية حال إذا كنت حريصًا على صداقتنا فأنا أيضًا ما زلت حريصة عليها . ولن أفرط فيها بسهولة .

ـ إننى لا أتكلم عن الصداقة الآن .. بل عن حبى لك .

قاطعته بحدة قائلة :

ـ إذا كنت حريصًا على أن يبقى بيننا شىء ما فلا تتحدث عن الحب .



ـ لماذا يا ( هالة ) ؟

ـ لأننى لا أرضى لنفسى أن أكون وسيلة للنسيان وللتغلب على صدمتك فى مشاعرك تجاه ( سماح ) .

قال ( أحمد ) سريعًا :

ـ أنت مخطئة يا ( هالة ) .. فلا يمكن أن أرتضى أن تكونى بالنسبة لى وسيلة لنسيان فتاة أخرى .. وما حدث من (سماح) نبهنى فقط إلى حقيقة كانت غائبة عنى ، وهى أنك الأقرب لعقلى وقلبى وأفكارى .. وأن (سماح) لم تخدعنى بقدر خديعتى لنفسى .. لأنه آجلاً أو عاجلاً لم تكن تلك العاطفة الزائفة التى كنت أحملها تجاه (سماح) لتدوم .. حتى ولو لم يكن فى حياتها شخص آخر .

هل تعرفين لماذا ؟ لأننى اكتشفت تدريجيًا أن هناك تباعدًا حقيقيًا بيننا فى الأفكار والمشاعر والأحاسيس .. وأن النظرة التى كنت أنظر بها إليها وأنا أعيش سنوات صباى الأولى تختلف عن نظرتى إليها الآن .

قالت له دون أن تلين مشاعرها تجاهه :

ـ حسن .. وما المطلوب منى الآن بعد كل ما قلته ؟

ـ لقد قلت لك .. إننى أرى الآن بوضوح أننى أحبك .. ولابد أن تصدقينى .

قالت وهى ما زالت متأثرة بكبريائها الجريح حينما اتهمها بالكذب والحقد والغيرة :

ـ وماذا لو صدقتك ؟ هل من المفترض أن أكون أنا الأخرى أحبك ؟ أم أن غرورك ما زال يصور لك ذلك ؟

ـ ( هالة ) لقد اعتقدت أنك ..

قاطعته بجفاء قائلة :

ـ لا تعتقد شيئًا .. ولو سمحت .. لقد تأخرت عن العودة إلى المنزل .

وأسرعت بالانصراف وقد تركته حزينًا بائسًا .. وأحس بأنه ربما يكون قد فقدها إلى الأبد .

أما هى فقد ظلت تبكى طوال الطريق .. لقد انتصرت لكرامتها على حساب عواطفها .. ولا تدرى إذا كان هذا انتصارًا حقيقيًا أم بداية لآلام جديدة ربما لا تتمكن من مداواتها .

★ ★ ★



# ١٤ ـ ابتسامة القدر..

جول الحاج ( عبد الراضى ) فى أرجاء مصنعه ، حيث رأى بعض العمال يتجمعون حول إحدى الماكينات وهم يصيحون ويهللون .

فاتجه إليهم قائلاً :

ـ ما هذا الصخب ؟ ولماذا تركتم عملكم ؟

قال أحدهم وهو يشير إلى ( أحمد ) الذى كان يقف بينهم :

ـ لقد قام الباشمهندس ( أحمد ) بإصلاح الماكينة المعطلة هنا .. وإعادتها إلى العمل بكفاءة مرة أخرى .

قال ( عبد الراضى ) بجفاء :

ـ وماذا فى ذلك ؟ هل يستحق الأمر أن تتركوا أعمالكم وتحدثوا كل هذه الجلبة ؟

تحدث أحد العمال قائلاً :

ـ لقد كنا نهنئ الباشمهندس على مهارته ..

فلا تنس يا حاج أن الخبير الأجنبى الذى جئت به فشل فى إصلاحها .. وأننا كنا فى طريقنا للاستغناء عنها تمامًا .

قال بجفاء ودون أن يبدى أى تقدير تجاه ما فعله ابنه :

ـ إنه عمله على أية حال .. وهو يتقاضى راتبه مقابل ذلك .

هيا فلينصرف كل منكم إلى عمله .. ولا أريد أن أرى تجمعات كهذه مرة أخرى .

وانصرف العمال إلى آلاتهم فى حين ظل ( أحمد ) واقفًا فى مكانه ، وهو ينظر إلى أبيه نظرة تنم عن الإحباط الذى أحسه ، وعن يأسه فى أن ينال رضاه عن أى شىء يفعله .

بينما حدجه الأب بنظرة متصلبة تخلو من أى عاطفة .. ثم استدار عائدًا إلى مكتبه ، دون أن يوجه له أى كلمة تعبر عن تقديره لما فعله ، وما لبث أن لحق به الابن فى حجرته وقد تفجرت مشاعر الإحباط بداخله وهو يصيح قائلاً لأبيه :



ـ إننى لا أدرى ما الذى يمكن أن أفعله ليرضيك ؟ وهل وافقت على أن أعمل لديك فى هذا المصنع لكى تستغل ذلك لإذلالى ، وإظهار كراهيتك لى أمام العمال من آن لآخر ؟

إنك تتعمد أن توجه لى اللوم دائمًا أمامهم .. وحتى حينما نجحت فى عمل شىء ظننت أنه يمكن أن يجعلنى أنال تقديرك ، لم ألق منك سوى الاستخفاف والاستهانة .

إلى متى تستمر فى معاملتى هكذا ؟ ومتى تتوقف عن كراهيتك لى ؟

قال له الأب دون أن يتخلى عن جفائه :

ـ لا تظن أنك تستطيع أن تجعلنى أنسى ما حدث منك بأعمال كهذى .. فما حدث لا يمكن أن ينسى ، ولا يمكن أن أغفر لك تسببك فى غرق أخيك .

ـ كلا .. لا تحاول أن ترضى ضميرك بالتعلق بهذا السبب .. فكراهيتك ومعاملتك السيئة لى كانت موجودة قبل وفاة ( أكرم ) .. وكل ما هنالك أنك وجدت

فى هذه الحادثة مبررًا قويًا لتزيد من سوء معاملتك ، وكراهيتك لى .. برغم أن الجميع مقتنع بأنه لم يكن لى ذنب فى غرق ( أكرم ) .

ولكنك أنت الوحيد الذى تريد أن تقنع نفسك بأننى المسئول عن موته . حتى تتمسك بسوء معاملتك لى .

ولو كانت هذه هى شخصيتك وطريقتك فى التعامل مع كل من حولك لقلت إنها طبيعتك التى لا تستطيع أن تغيرها ، لكننى كنت أراك دائمًا تعامل أخى الصغير معاملة أفضل من معاملتك لى .. وكنت تؤثره وحده علىّ بعطفك وحنانك وتدليلك .

قال الأب محتدًا :

ـ نعم .. أفصح عما فى صدرك فهذه هى الحقيقة .. إن غيرتك من أخيك وكراهيتك له .. هى التى دفعتك إلى التخلص منه وارتكاب هذا الجرم الذى لا يغتفر .

قال ( أحمد ) بانفعال شديد :

ـ سأروى لك ما حدث للمرة العشرين .. برغم أننى لا أحب تذكر ذلك أو التحدث عنه .. ولك أن تصدق أو لا تصدق .



لقد حاولت أن أجعل ( أكرم ) يتغلب على عقدته تجاه البحر بعد تعرضه للغرق من قبل .. كنت أريد أن أساعده وأن أجعله يتعلم العوم كما تعلمته .. لأنه كان أخى الأصغر وكنت أحبه ..

لكن خوفه من الماء كان يمنعه من ذلك ، وعندما ذهبنا إلى الإسكندرية أردت أن أجعله يتغلب على خوفه من الماء أولاً .. ثم أبدأ فى تعليمه السباحة تدريجيًا .. لذا ألححت عليه أن يصحبنى فى تلك النزهة البحرية بالقارب .. لكنه أصر على الرفض وطلبت منى أنت أيضًا يومها ألا ألح عليه فى ذلك .. ففعلت .

لكنه بعدها بقليل جاء ليطلب منى أن أصحبه فى هذا القارب بعد أن سخر منه بعض أصدقائه بسبب خوفه من الاقتراب من الماء ، فاقتنع بأنه لابد أن يتغلب على عقدته هذه .

وحينما أصبحنا فى عرض البحر اشتدت الرياح .. وعلا الموج بشدة على نحو أصابه بالذعر .. فقررت أن أعود إلى الشاطئ .. وبذلت جهدًا قويًا فى

التجديف برغم ارتفاع الأمواج من أجل أن أسرع بالعودة .

لكن موجة قوية أطاحت به من فوق القارب وألقته فى الماء وأطاحت بى أنا أيضًا لترتطم رأسى بحافة القارب ..

ففقدت الوعى لمدة خمس دقائق ظللت خلالها ملقى على وجهى داخل القارب ، ورأسى تنزف دون أن أدرى شيئًا عما يدور حولى ، وعندما تنبهت قفزت إلى الماء كالمجنون للبحث عن أخى وأنا أدعو اللّه ألا يكون قد أصابه مكروه ، وأن أتمكن من إنقاذه .

لكنى عثرت عليه غريقًا .. وكانت إرادة اللّه أن يختاره إلى جواره .. فلم أتمكن من إنقاذه ..

أقسم لك إن هذا هو ما حدث .. ولو كان الأمر بيدى لبذلت روحى من أجل إنقاذ ( أكرم ) .

قال الأب دون أن تؤثر فيه كلمات ابنه :

ـ حتى لو كان ما تقوله صحيحًا .. فإن هذا لا يعفيك من المسئولية ..



فقد كان يتعين عليك ألا تصحبه فى ذلك القارب خاصة بعد أن طلبت منك ذلك .

ـ لقد فعلت ذلك بإلحاح منه .. ولم يكن يوجد ما ينبئ بهياج البحر واشتداد الرياح هكذا .. لكنه القدر .. لقد اختار لنا القدر أن نعيش جميعًا هذه المأساة الحزينة .. كما اختار أن يختطف البحر ( أكرم ) فى هذا اليوم .

قال الأب محتدًا :

ـ لا تلق باللوم على القدر .. ولا تطلب منى أن أسامحك على ما حدث أبدًا .

قال ( أحمد ) بيأس :

ـ أعرف أنك لن تسامحنى .. وأعرف أنك لا تطيق وجودى .. هنا أو فى المنزل أو فى أى مكان آخر .. وأنك كنت تفضل لو كان الموج قد ابتلعنى أنا بدلاً من ( أكرم ) .. ولو كان الأمر بيدى لحققت لك هذه الأمنية ..

على أية حال أظن أنه لا جدوى من الاستمرار على هذا النحو .. وأنه كان من الخطأ أن أعود إلى هنا .

لكنى مصر هذه المرة على الرحيل ولن تراني بعد ذلك فى المنزل أو المصنع أو فى أى مكان آخر .

وتركه جالسًا أمام مكتبه وأسرع بمغادرة المكان .

وبعد برهة قصيرة من انصرافه ، بدأ الأب يحس بشىء من تأنيب الضمير لأول مرة .. وهم باللحاق به .. لكنه تراجع عن ذلك وأخرج صورة ابنه المتوفى من درج مكتبه .. وقد أخذ يتأملها والعبرات تنهمر من عينيه .

★ ★ ★

رفعت ( هالة ) سماعة الهاتف لتسمع صوت الحاجة ( نوال ) وهى تبكى قائلة :

ـ ( هالة ) لقد غادر ( أحمد ) المنزل منذ قليل .. أرجوك يا بنيتى .. أرجوك .. حاولى أن تلحقى به فى المحطة وتمنعيه من السفر بأى وسيلة .

قالت ( هالة ) بانزعاج :

ـ ماذا حدث ؟

ـ لقد عامله أبوه بقسوة مرة أخرى .. فقرر ألا يبقى .. وترك عمله فى المصنع .. وعاد إلى المنزل



ليحمل حقيبته ويرحل دون أن تفلح توسلاتى فى إثنائه عن ذلك .

أنا أعرف أنه يحبك كما أنك تحبينه .. وربما تمكنت يا بنيتى من إقناعه بالتراجع عن السفر .. وإصلاح ما حدث .

فقالت ( هالة ) وهى تنهض سريعًا :

ـ سأحاول اللحاق به قبل أن يستقل القطار .. ربما نجحت فى ذلك .

وارتدت ثيابها سريعًا .. وأسرعت بالانطلاق بسيارتها وهى تزيد من سرعتها أملاً فى اللحاق به .

كانت مضطربة للغاية .. وأخذت تردد وهى تقود سيارتها :

ـ لا يا ( أحمد ) .. لا ترحل .. ابق من أجلى .. لا تتركنى الآن .. إننى أحبك .. ولا يمكنك أن تعرف مقدار حبى لك .

وما لبثت أن رأته واقفًا على رصيف القطار .. فاندفعت تركض نحوه وهى تناديه :

ـ ( أحمد ) .. ( أحمد ) .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ ( هالة ) .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

قالت له بتوسل :

ـ لا تسافر يا ( أحمد ) .

ـ لم يعد هناك ما يدعونى إلى البقاء هنا .. لقد فشلت فى أن أنال حبك أو حب أبى .. ولم يعد يوجد ما يربطنى بهذه المدينة سوى رغبتى فى الاطمئنان على أمى .. وسأجد وسيلة لتحقيق ذلك دون أن يضطرنى الأمر للعودة إلى هنا .

ـ لكنى أحبك يا ( أحمد ) .

ـ ليس هناك ما يضطرك إلى أن تقولى لى ذلك .. فلن ينجح هذا فى التأثير على .

قالت له متوسلة :

ـ صدقنى يا ( أحمد ) .. إننى أحبك .. وما قلته لك فى لقائنا الأخير كان كذبًا ومحاولة منى لإرضاء كرامتى الجريحة .



ـ لقد اختلطت الأمور بالنسبة لى .. ولم أعد أدرى .. ما الذى أصدقه .. وما الذى أكذبه ؟

لقد كانت مشاعر ( سماح ) نحوى كذبًا وخداعًا .. وكذلك مشاعرى نحوها ونحوك لم تكن واضحة ومحددة .. ولا أدرى ما إذا كان يمكننى أن أثق بما تقولينه لى الآن أم لا ؟

الشىء الوحيد المؤكد بالنسبة لى .. هى مشاعر أبى نحوى والتى تعبر دائمًا عن الكراهية والقسوة بشكل صريح .

ـ ( أحمد ) .. أرجوك اسمعنى .

راقب أحمد القطار القادم إلى المحطة قائلاً :

ـ لم يعد هناك جدوى من ذلك يا ( هالة ) .. لقد جاء القطار ويتعين على الآن .. أن أرحل .

بكت وهى تزيد من توسلاتها إليه قائلة :

ـ كلا يا ( أحمد ) .. أرجوك لا ترحل !

لكنه لم يستجب لتوسلاتها واستعد لركوب القطار قائلاً :

ـ وداعًا يا ( هالة ) .

لكن قبل أن يضع قدميه داخل القطار .. لمح أحد عمال المصنع وهو يهرول فى اتجاهه قائلاً :

ـ يا ( باشمهندس ) .. يا ( باشمهندس ) !

تراجع ( أحمد ) عن ركوب القطار قائلاً :

ـ ( فوزى ) .. ماذا حدث ؟

قال له العامل وهو يلهث :

ـ لقد حدث حريق كبير فى المصنع .. عنبر (ثمانية) يحترق .

نظر إليه ( أحمد ) بذهول قائلاً :

ـ ماذا ؟ ألم تتمكنوا من إطفائه ؟

قال له العامل :

ـ لقد فشلت كل جهودنا فى سبيل ذلك .. واستدعينا رجال الإطفاء .

لكن والدك أصر على الدخول إلى العنبر والمشاركة فى إطفائه .. برغم محاولتنا منعه من ذلك .



قال ( أحمد ) وقد ارتسمت على وجهه ملامح الفزع :

ـ أبى !

ـ نعم .. وقد أصر على خروج بقية العمال من العنبر قبل خروجه ، بعد أن تبين له فشل المحاولات التى لجأنا إليها لإطفاء الحريق . والنيران تحاصره داخل العنبر الآن .

اندفع ( أحمد ) مهرولاً خارج المحطة على إثر سماعه لذلك ، وقد أصابه الخوف والهلع على أبيه .

بينما لحقت به ( هالة ) التى أفزعها ذلك الخبر أيضًا قائلة :

ـ انتظر .. سأوصلك بسيارتى .

* * *

اندفع ( أحمد ) داخل المصنع حيث كانت النيران متأججة داخل العنبر قائلاً :

ـ ألم يصل رجال الإطفاء بعد ؟

قال له أحدهم :

ـ لقد اتصلنا بهم مجددًا ، وأخبرونا أن هناك سيارتين من سيارات الإطفاء فى طريقهما إلى هنا .

ـ وهل سنظل مكتوفى الأيدى هكذا حتى تصل سيارات الإطفاء بينما أبى محاصر بالنيران فى الداخل ؟

قال له أحدهم :

ـ لقد حاولنا أن نمنعه من دخول العنبر ، لكنه أصر على ذلك .. وكما ترى .. النيران تسد مدخل العنبر تمامًا مما يحول دون الدخول إليه .

نظر إلى أحد العمال قائلاً :

ـ ( إبراهيم ) أحضر لى سلمًا خشبيًا .

ثم تحدث إلى آخر قائلاً :

ـ وأنت أحضر لى حبلاً .

سأله العامل قائلاً :

ـ ماذا تريد أن تفعل يا باشمهندس ؟

لكنه قال بانفعال :



ـ افعلوا ما أطلبه منكم سريعًا ولا تضيعوا الوقت .

وأحضروا له السلم والحبل .. حيث ثبته على جدار العنبر من الخارج قائلاً للعاملين :

ـ اصعدا معى .

وسبقهما للصعود إلى سطح العنبر حيث توجد نوافذ زجاجية تطل على الداخل .

وهشم إحدى النوافذ الزجاجية مستخدمًا فى ذلك آلة حادة ، قائلاً للعمال :

ـ ساعدونى فى تثبيت طرف الحبل فى حافة النافذة .

سأله أحدهما قائلاً :

ـ ولكن .. ما الذى تريد أن تفعله ؟

ـ سأستخدم الحبل فى الهبوط إلى العنبر من الداخل وإنقاذ أبى .

قال له العامل :

ـ ولكن ذلك يعرضك لخطر كبير .

قال ( أحمد ) بلهجة حاسمة :

ـ لا شأن لكما بذلك .. كل ما يتعين عليكما أن تفعلاه هو أن تساعدا فى جذب الحبل إلى أعلى حينما نتعلق به .

وما لبث أن هبط إلى داخل العنبر متعلقًا بالحبل ، وقد حبس الجميع أنفاسهم وهم يتطلعون إليه .

بينما أخذ قلب ( هالة ) يخفق بشدة وهى تدعو اللّه أن ينقذه من الحريق ، وأن يتغلب هو وأبوه على وحشية النيران التى كانت تزحف داخل العنبر تدريجيًا .

نظر الأب الذى كانت النيران تحاصره فى أحد أركان العنبر إلى ابنه فى ذعر قائلاً :

ـ ( أحمد ) .. لماذا فعلت ذلك ؟ وكيف سمحت بتعريض نفسك للخطر هكذا ؟

ـ ما كان يمكننى أن أراك محاصرًا وسط النيران هكذا وأقف موقف المتفرج .

تطلع الأب إلى وجه ابنه وقد تغلبت مشاعر الأبوة والحنان على ملامح الفزع التى كانت ترتسم على وجهه فى هذه اللحظة ، قائلاً :



ـ ( أحمد ) .. انج بنفسك يا بنى .

ـ سننجو معًا .. هيا دعنى أربط هذا الحبل حول وسطك وليس عليك سوى أن تتعلق به ليجذبوك إلى أعلى سطح العنبر .

ـ وماذا عنك ؟

ـ سألحق بك .

قال الأب معترضًا :

ـ كلا .. إما أن نصعد معًا .. وإما .....

لكن ( أحمد ) قاطعه .. قائلاً بإصرار وهو يلف الحبل حول وسط أبيه بإحكام :

ـ لا وقت أمامنا نضيعه .. إن الحبل لن يتحملنا نحن الاثنين .. وعليك أن تسرع بتسلقه قبل أن تمتد النيران إلى هنا .

ولم يجد الأب بدًا من الاستجابة لإصرار ابنه .. الذى أشار للعمال لكى يرفعوه .

لكن ما إن ارتفع عن الأرض قليلاً ، حتى امتدت

ألسنة النيران لتحاصر ( أحمد ) بدوره وتمنعه من الوصول إلى المكان الذى يتدلى إليه الحبل ، فصاح الأب هلعًا وهو يقول :

ـ ( أحمد ) ! ابنى !

لكن ( أحمد ) أشار إلى العمال لكى يستمروا فى جذب الحبل إلى أعلى دون أن يأبهوا له .

لكن الأب سارع يحل الحبل عن وسطه ، وقفز إلى داخل العنبر مرة أخرى ، بعد أن تأرجح فى اتجاه ابنه دون أن يواصل الصعود .

صرخ ( أحمد ) قائلاً :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟

قال الأب وهو يلف ذراعه حول كتفى ابنه ليجذبه بعيدًا عن النيران :

ـ إما أن نحيا معًا .. أو نموت معًا .. فلا يمكننى تحمل الحياة بعد أن فجعت مرة فى موت أحد أبنائى غرقًا .. ثم أفجع مرة أخرى فى موت ابنى الثانى حرقًا .



بكى ( أحمد ) قائلا :

ـ كنت أتمنى أن أرى هذا الحب منك من قبل .

قال الأب وهو يبتسم بمرارة ، برغم العبرات التى انسابت على وجنتيه :

ـ وأنا لم أكن أظن أنك تحمل لى كل هذا الحب برغم قسوتى معك وظلمى لك .

ـ هل اقتنعت الآن بأنه لا ذنب لى فى موت أخى ؟

ـ سامحنى يا بنى .. لقد أعمتنى الصدمة .

قبّل ( أحمد ) أباه قائلاً :

ـ أرجو أن تسامحنى أنت على أى خطأ ارتكبته فى حقك .

ـ هناك شىء يهمنى أن تعرفه ونحن نقترب من الموت .. وهى أن شدتى وحزمى معك وأنت صغير بعكس أخيك .. لم تكن بسبب كراهيتى لك أو لأننى أفضل أخاك عليك كما تخيلت .. فقد أحببتكما أنتما الاثنين بنفس القدر .

ولكن لأن الأطباء أخبرونى بأننى مريض بمرض خطير .. وأننى لن أعيش سوى سنوات قليلة .

لذا قررت أن أعدك لتتولى المسئولية وتحل محلى بعد موتى .

فأحضرتك إلى المصنع وأصررت على أن تطلع على كل شىء ، وتمارس كل عمل مهما كان صغيرًا كما فعلت أنا من قبل ، حتى أعدك لتحمل هذه المسئولية .. ولكى تكون مؤهلاً لرعاية أمك وأخيك الصغير بعد موتى .

وكنت أرى أنك تستطيع القيام بذلك .

أما أخوك فلم يكن لديه هذا الاستعداد مثلك .. كما أنه كان أصغر منك فى العمر .. ولم ينل ما نلته أنت من رعاية فى الصغر .. كما أننى قدرت أننى لم أوله الرعاية والتدليل الكافيين فى سنوات عمره الأولى كما فعلت معك .. لأنك كنت أول أبنائى وكنت فرحًا بك للغاية .

وهذا ما دفعنى إلى تدليله .. فى الوقت الذى سعيت



فيه لإعدادك لرجولة مبكرة تكمل بها المشوار من بعدى .

لكن فى الوقت الذى شاء فيه القدر أن أنجو من خطورة هذا المرض بعد سفرى وعلاجى فى الخارج .. شاء أيضًا أن يحرمنى من الابن الذى كنت أحمل همه بعد موتى .

وأن أحرم أيضًا من الابن الذى أبعدته عنى بجهلى وقسوتى .

مرة أخرى أرجوك أن تسامحنى يا بنى .

ـ وأنا أيضًا أرجوك مرة أخرى أن تسامحنى يا أبى .. لأننى ظلمتك ولم أكن أعرف السر وراء معاملتك الشديدة لى من قبل .. وأظن أننى بعد أن عرفت الآن ، وبعد أن اقتنعتَ ببراءتى من موت أخى يمكننى أن أتقبل الموت بنفس راضية .

وفى تلك اللحظة سمعا صوتًا يناديهما من أعلى قائلاً :

ـ لقد حضر رجال الإطفاء وهم يستعدون للهبوط

إليكم والتدخل لإنقاذكم ، وما لبثا أن رأيا سلمًا معدنيًا ينزلق من سطح العنبر إلى أسـفل ، حيث هبط رجـال الإطفـاء وهـم يصوبـون خراطيـم الميـاه وفوهـات أجهزتهم الكيمائية فى اتجاه النيران التى تحاصرهمـا .. للعمل على إطفائها وإبعاد ألسنة اللهب عنهما .

بينمـا ألقى أحدهم إليهمـا بسـترتين واقيتيـن مـن النيران ، وهو يطلب منهما أن يرتدياهما .

ثم تمكنـوا أخيرًا من إبعـاد ألسنة النيران عنهمـا واصطحابهمـا إلـى السلم المعدنـى ليساعدوهما علـى الصعود إلى أعلى .

هلل العمال فرحًا بنجاة الأب وابنه .. بينما نظر كـل منهما إلى الآخـر للحظـة ، بعد أن ابتعدا عن الخطر تمامًا .. وقد تهلل وجهاهما بالرضا والسعادة للنجاة ..

ثم احتضنا بعضهما بشدة وانفعال مؤثر .

وسار ( أحمـد ) بصحبـة أبيـه إلـى الخـارج ، وهو يحيط كتفى الرجل بذراعه ، واندفعت ( هالة ) نحوهمـا ، وقد ارتسمت ملامـح السعادة والفرحـة علـى وجهها قائلة :



ـ حمدًا للّه على سلامتك يا ( أحمد ) .

ثم أردفت قائلة للأب :

ـ حمدًا للّه على سلامتك يا عمى .

قال لها الأب :

ـ سلمك اللّه يا بنيتى .

بينما نظر إليها ( أحمد ) بعينين تفيضان حبًا ، قائلاً :

ـ ( هالة ) .. هل أنت واثقة مما قلته لى على رصيف القطار ؟

نظرت إليه وفى عينيها نفس الفيض من المشـاعر قائلة :

ـ كل الثقة يا ( أحمد ) .

نظر ( أحمد ) إلى أبيه قائلاً :

ـ أبى .. أريد أن تزوجنى من هذه الفتاة .

ابتسم الأب قائلاً :

ـ وأنا مستعد لتلبية طلبك فورًا .. فقد أحسنت الاختيار .

وواصل ( أحمد ) طريقه إلى الخارج وهو يحيط أباه بإحدى ذراعيه ، فى حين أحاطت ذراعه الأخرى بـ ( هالة ) .. وقد أحس أن القدر قد ابتسم له أخيرًا .

★ ★ ★

[ تمت بحمد الله ]



## زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة :

1 ـ من أجلك .
2 ـ لا تقل وداعا .
3 ـ قلوب لاتنبض .
4 ـ الدموع الباردة .
5 ـ هى فى حياتى .
6 ـ ياقلب لاتغفر .
7 ـ النبع الجاف .
8 ـ طيور بلا أجنحة .
9 ـ رسالة حب .
10 ـ لعبة القدر .
11 ـ العصفور الجريح .
12 ـ أشجار الحب .
13 ـ رحلة قلب .
14 ـ شمس الليل .
15 ـ الحب بلا أرقام .
16 ـ لقاء الحب .
17 ـ المرآة السوداء .
18 ـ حب وكراهية .
19 ـ وذاب الجليد .
20 ـ حب وسط النيران .
21 ـ دموع كيوبيد .
22 ـ أوهام الحب .
23 ـ نداء قلبى .
24 ـ حذار من الحب .
25 ـ الموعد .
26 ـ وداعاً ياحبى .
27 ـ حبى المعذب .
28 ـ لك قلبى .
29ـ الحلم .
30 ـ زوجى .
31 ـ الحب والمعجزة .
32 ـ وداعاً للماضى .
33 ـ طائر غريب .
34 ـ هذا الرجل .
35 ـ التقينا من جديد .
36 ـ نسمة الصباح .
37 ـ لن أعود .
38 ـ الشريكان .
39 ـ أنت قدرى .
40 ـ بلا أمل .
41 ـ أحلام ضائعة .
42 ـ أبى الحبيب .
43 ـ الحاجز .
44 ـ لن أنساك .
45 ـ ستبقى فى قلبى .
46 ـ أحببتك فى صمت
47 ـ رجل وقلبان .
48 ـ الحب الجريح .
49 ـ الحب والاختيار .
50 ـ وابتسمت الحياة .
51 ـ اللقاء الأخير .
52 ـ عودة الغائب .
53 ـ أمواج الحب .
54 ـ معك دائماً .
55 ـ اغفر لى .
56 ـ لقاء فى الغروب .
57 ـ جدار الماضى .
58 ـ لأنى أحبك .
59 ـ الأسيرة .
60 ـ مرحباً بالحب .
61 ـ شمعة لاتنطفئ .
62 ـ لا ترحلى .
63 ـ لمسة حب .
64 ـ الصديقتان .
65 ـ الوجه الدميم .
66 ـ خفقات قلب .
67 ـ جراح الماضى .
68 ـ حبيبتى الوحيدة .
69 ـ آلام الحب .
70 ـ كفانا عناداً .
71 ـ رجل أحببته .
72 ـ نبع الحب .
73 ـ مشاعر دافئة .
74 ـ أشواك الحب .
75 ـ لن أبكى .
76 ـ قلوب حائرة .
77 ـ وداعاً للأبد .
78 ـ فتاة جميلة .
79 ـ قسوة وغفران .
80 ـ ليس من أجلى .
81ـ سحابة صيف .
82ـ زهرة برية .
83ـ زهرتى الجميلة .
84ـ ابتسامة القدر .

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب أو الأم حرجًا من وجودها بالمنزل



ا. شريف شوقى

# ابتسامة القدر

كان عليه أن يرحل عن المنزل الذى تربى فيه .. وقد أصبح منبوذًا من الأب .. محرومًا من حنان الأم .. وظن أن القدر قد اختار له طريق الأحزان ... فهل يبتسم له القدر يومًا ما ؟

84

الثمن فى مصر ٢٠٠ مـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

